

سلسلة النقد الأدبي التطبيقي

(٢٦)

في التذوق الجمالي لقصيدة سُوَيْد بن أبي كاهل اليشكري

(بَسَطتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لنا   فَوَصَلْنا الحَبْلَ مِنْهَا ما اتَّسَعْ)

(دراسة نَقدية إبداعية)

الدكتور محمد علي أبو حمدة

M.A. في النقد الأدبي من الجامعة الأمريكية ببيروت
M.Litt. في النقد الأدبي من جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة
Ph.D. في النقد الأدبي من جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة
(B.A., M.A. Litt. Ph. D.)

عضو هيئة تدريس بكلية الآداب - الجامعة الأردنية بعمان







في التذوق الجمالي لقصيدة

سويد بن أبي كاهل اليشكري

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٥/١/٩٨)

رقم التصنيف : ١٠٠٤١ر٨١١
المؤلف ومن هو في حكمه : محمد علي ابو حمده
عنوان المصنف : في التذوق الجمالي لقصيدة سويد بن ابي كاهل اليشكري
رؤوس الموضوعات : ١ - الشعر العربي - بلاغة
٢ - سويد بن ابي كاهل اليشكري - تراجم
رقم الايداع : (١٩٩٥/١/٩٨)
الملاحظات : عمان : دار عمار للنشر
* - تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الاجازة المتسلسل ١٩٩٥/١/٦٦

دار عمار
الأردن - عمان - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني
ص.ب ٩٢١٦٩١ - هاتف ٦٥٢٤٣٧

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
هاتف ٢ - ٦٣٧٧٧١ - فاكس ٦٣٧٧٧٣
ص . ب ٨٥٧ - عمان ١١١١٨ الأردن

سلسلة النقد الأدبي التطبيقي

(٢٦)

في التذوق الجمالي لقصيدة

سويد بن أبي كاهل اليشكري

(بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لنا فَوَصَلْنَا الحَبْلَ مِنْهَا ما اتَّسَعْ)

(دراسة نَقدية إبداعية)

الدكتور محمد علي أبو حمدة

M.A. في النقد الأدبي من الجامعة الأمريكية ببيروت

M.Litt. في النقد الأدبي من جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة

Ph.D. في النقد الأدبي من جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة

(B.A., M.A. M.Litt. Ph. D.)

عضو هيئة تدريس بكلية الآداب - الجامعة الأردنية بعمان

دار عمار

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحَمْدُ لله رَبِّ العالمينَ، والصَّلاة والسَّلام على سَيِّدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامينَ؛ ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، وبعد:

فقصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري (بسطت رابعةُ الحبلَ لنا) نَفَسٌ شعري جاهلي - إسلامي. حملت فيه القصيدةُ صورَ الحياة الجاهلية وملامح الوضوح الإسلامي في وقتٍ كانت جميع مناشط الحياة العربية تعيد مراجعة حساباتها على ضوء التوجيهات الرَّبانية في القرآن الكريم ودولة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم في المدينة المُنَوَّرة.

وأكثر ما يَطْبَعُ هذه القصيدة أنها ترجمةٌ ذاتية، أو قُلْ هي قصيدة «غنائية» حملت هموم صاحبها (شاعراً جاهلياً - إسلامياً) عاش في بيئة اجتماعية شهدت تحولاتٍ كثيرة، وعاشت توترات وتناقضات بقيت بين مَدٍّ وجَزْرٍ، وبين كُمُونٍ وَسُفُور.

والقصيدة سِجِلٌّ حَيٌّ لفحولة الشعر الجاهلي من جهة، وفحولة الشعر الإسلامي من جهة أخرى. وفي الوقت الذي كنا نلمح فيه تَوَزُّعَ

القصيدة ما بين مُقَدِّمة جاهلية وغرض إسلامي - كما هو الشأن في قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه حول فتح مَكَّة[١]، أو قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه في مدح الرسول ﷺ[٢] - لدى شعراء مُخَضْرَمِين، فإنَّ قصيدة سويد امتزجت فيها الحياتان: الجاهلية والإسلامية - امتزاجاً فنياً متوحِّداً قَلْبَاً وقالباً بِحيث يَصْعُب على المتتبِّع رسم حُدود فاصلة بين سُوَيد الجاهلي، وسُوَيد الإسلامي في هذا المعمار المميَّز الفريد. ويبدو أنَّها.. في هذه الخصائص نسيجة وحدها، وواحدة عَصْرِهَا. وكانت العرب تفضلها وتُقَدِّمُها، وتَعُدُّها من حِكَمِها، وكانت تسميتها «اليتيمة». كما يؤثر عن الأصمعي أنَّه كان يفضِّلها[٣].

وقد اعتمدت في عبور القصيدة لُغَةَ ودلالاتِ شرح الإمام طويل الباع في تذوق الشعر العربي وصيانته والحياطة له أبي محمد القاسم بن محمد الأنباري على ديوان المفضليات اختيار الرواية العَلاَّمة

---

(١) محمد علي أبو حمدة: **في التذوق الجمالي لهمزية حسان بن ثابت حول فتح مكة** (مكتبة الرسالة - عمان ١٩٨٨م).

(٢) محمد علي أبو حمدة: **في التذوق الجمالي لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير في مدح الرسول** ﷺ (مكتبة الأقصى بعمان ١٩٨٣م). وكلا الشاعرين ذكر الخمر في المُقَدِّمة.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأنمائي (دار الثقافة - بيروت ١٩٥٨م) ٣: ١٠٠-١٠١ وانظر المفضليات. تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط١٠ (دار المعارف بمصر ١٩٩٢م، ص١٩٠).

أبي العباس المفضل بن محمد الضَبِّي[1].

وقد أكثرت من العَرْض والاقتباس استيفاءً للغرض، وتقليباً لوجهات النظر المختلفة لُغَةً ودلالاتٍ. وبعد الاستيفاء كان يكون لي الرأي المستند إلى التذوق الجمالي، والتكامل المعماري للقصيدة وإبداعها، وَنَفَسِها الشِّعري المتوحِّد.

إنَّ التذوق الجمالي للنصوص الشعرية لهو في الوقفات الذاتية التي يستنطِق من خلالها المتذوِّقُ كوامنَ الأحاسيس التي فَجَّرت ينابيع الشعر، ورافقت عملية «ولادته». وهو العبور الجمالي الذي - من خلاله - تبين النصوص ذات نكهةٍ وطعم وشميم - إنْ جاز التعبير - خاصَّة؛ يستشعر حلاوتها مَنْ واقعها. إنَّها الذاتية الفردية بكل ما للذاتية من تَفَرُّدٍ في التكوين الفكري والثقافي وطرائق التفكير ودرجة الإحساس بالجماليات والاستجابة لها. إنَّها أُفُق ذاتي في التعامل مع النصوص.

فإن كان هذا الأفق في الدرجات التي تصح أن تُعْبَرَ لتغدو حواراً وتعليلاً فذلك في الزَّاد المعطاء الذي ينبغي أن يحرص عليه، وأن تُكَثَّرَ منه الآفاق، كي تغدو أعمال التذوق الجمالي للشعر العربي، وبخاصة الشعر العربي الذي عاصر من رسول الله ﷺ ومن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم - في المنافسة التي تحبِّب لكل من اتصل

---

(١) ديوان المفضليات. اختيار المفضل بن محمد الضَبِّي بشرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري. ت. كارلوس لايل (مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٢٠م) ص٣٨١-٤٠٩.

بهذه اللغة الشريفة بسببٍ - أن يعاود قراءة الشعر بعيون جديدة، وبنفسية متجددة، ووفق مناخات جديدة.

وإنَّه وإن كان أعيان الأُمَّة قد شغلهم صيانة التراث اللغوي والأدبي - حياطةً لرسالة الإسلام - عن صرف الهمم في تذوقه إلا ما جاء منهم عَفْوَ الخاطر؛ فإننا اليومَ في مسيس الحاجة إلى عبور هذه النصوص العُبور الجمالي الذي يُدَوِّن، ويناقش، وَيُثير، ويستثار.

وإنني من هذا المنبر الشريف في غرفة التدريس بالجامعة لأناشد ذوي الحِسِّ الجمالي الذين لهم مع النصوص عيش، وصارت لهم معها ألفة، وكوَّنوا حولها رأياً - أن يُصَيِّروا هذا الرأي تعليلاً يصح أن يكون التواصل الفكري، ويصح أن يكون الحوارَ يُرْفَد، أو يرفض؛ فذلك في الاستثارات التي تعيد لنصوصنا الشعرية رواجهَا، وتُجَدِّدُ أَلَقَها وشبابَها، وَتُعَمِّق الإحساس بِفَنِّيَّتِها وجمالها.

والله تعالى أسأل أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة يوم العَرْض على وجهه الكريم ﴿يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنُونَ؛ إلا من أتى اللهَ بقلب سَليم﴾.

قال سُوَيْدُ بنُ أبي كَاهِلٍ اليَشْكُرِيُّ

١- بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنَا ... فَوَصَلْنَا الحَبْلَ منها ما ٱتَّسَعْ

٢- حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيتاً وَاضِحاً ... كَشُعَاعِ الشَّمسِ في الغَيمِ سَطَعْ

٣- صَقَلَتْهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ ... مِنْ أَرَاكٍ طَيِّبٍ حتى نَصَعْ

٤- أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذاً طَعْمُهُ ... طَيِّبَ الرِّيقِ إذا الرِّيقُ خَدَعْ

٥- تَمْنَحُ المِرْآةَ وَجْهاً وَاضِحاً ... مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ في الصَّحْوِ ٱرْتَفَعْ

٦- صَافِيَ اللَّوْنِ وَطَرْفاً سَاجِياً ... أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ ما فِيهِ قَمَعْ

٧- وَقُرُوناً سَابِغاً أَطْرَافُها ... غَلَّلَتْها رِيحَ مِسْكٍ ذِي فَنَعْ

٨- هَيَّجَ الشَّوْقَ خَيَالٌ زَائِرٌ ... مِنْ حَبِيبٍ خَفِرٍ فيه قَدَعْ

٩- شَاحِطٍ جَازَ إلى أَرْحُلِنَا ... عُصَبَ الغَابِ طُرُوقاً لَمْ يُرَعْ

١٠- آنِسٍ كَانَ إذا ما ٱعْتَادَنِي ... حَالَ دُونَ النَّوْمِ مِنِّي فَٱمْتَنَعْ

١١- وَكَذَاكَ الحُبُّ مَا أَشْجَعَهُ ... يَرْكَبُ الهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعْ

١٢- فَأَبِيتُ اللَّيْلَ مَا أَرْقُدُهُ ... وَبِعَيْنَيَّ إذا نَجْمٌ طَلَعْ

١٣- وَإِذا مَا قُلْتُ لَيلٌ قَدْ مَضَى ... عَطَفَ الأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعْ

١٤- يَسْحَبُ اللَّيْلَ نُجُوماً ظُلَّعَا ... فَتَوالِيهَا بَطِيئَاتُ التَّبَعْ

١٥- ويُزَجِّيْهَا على إبطائها ... مُغْرَبُ اللَّونِ إذا اللَّوْنُ ٱنْقَشَعْ

١٦- فَدَعَانِيْ حُبُّ سَلْمَى بَعْدَمَا ذَهَبَ الجِدَّةُ مِنِّي والرَّيَعْ
١٧- خَبَّلَتْنِي ثُمَّ لَمَّا تُشْفِنِيْ فَفُؤَادِي كُلَّ أَوْبٍ ما ٱجْتَمَعْ
١٨- وَدَعَتْنِيْ بِرُقَاهَا إنَّها تُنْزِلُ الأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ اليَفَعْ
١٩- تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قَولاً حَسَناً لو أَرَادُوا غَيْرَهُ لم يُسْتَمَعْ
٢٠- كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهاً نَازِحَ الغَوْرِ إذا الآلُ لَمَعْ
٢١- في حَرُورٍ تُنْضِجُ اللَّحْمَ بِهَا يَأْخُذُ السَّائِرَ فيها كالصَّقَعْ
٢٢- وَتَخَطَّيْتُ إليها مِنْ عُدَىً بِزِمَاعِ الأَمْرِ والهَمِّ الكَنِعْ
٢٣- وَفَلاَةٍ وَاضِحٍ أَقْرَابُها بَالِيَاتٍ مِثْلَ مُرْفَتِّ القَزَعْ
٢٤- يَسْبَحُ الآلُ على أَعْلاَمِها وَعَلَى البِيدِ إذا اليَوْمُ مَتَعْ
٢٥- فَرَكِبْنَاهَا على مَجْهُولِها بِصِلابِ الأَرْضِ فِيهِنَّ شَجَعْ
٢٦- كالمَغَالِي عَارِفَاتٍ للسُّرَى مُسْنَفَاتٍ لم تُوَشَّمْ بالنِّسَعْ
٢٧- فَتَرَاهَا عُصُفاً مُنْعَلَةً بِنِعَالِ القَيْنِ يَكْفِيها الوَقَعْ
٢٨- يَدَّرِعْنَ اللَّيْلَ يَهْوِينَ بِنَا كَهُوِيِّ الكُدْرِ صَبَّحْنَ الشَّرَعْ
٢٩- فَتَنَاوَلْنَ غِشَاشاً مَنْهَلاً ثُمَّ وَجَّهْنَ لأَرْضٍ تُنْتَجَعْ
٣٠- مِنْ بَنِي بَكْرٍ بِهَا مَمْلَكَةٌ مَنْظَرٌ فِيهِم وَفِيهِم مُسْتَمَعْ
٣١- بُسُطُ الأَيْدِي إذا مَا سُئِلُوا نُفُعُ النَّائِلِ إنْ شَيءٌ نَفَعْ
٣٢- مِنْ أُنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلاَقِهِمْ عَاجِلُ الفُحْشِ ولا سُوءُ الجَزَعْ
٣٣- عُرُفٌ للحَقِّ ما نَعْيَا بِهِ عِنْدَ مُرِّ الأَمْرِ ما فِينَا خَرَعْ
٣٤- وَإِذا هَبَّتْ شَمَالاً أَطْعَمُوا فِي قُدُورٍ مُشْبَعَاتٍ لم تُجَعْ
٣٥- وَجِفَانٍ كالجَوَابِي مُلِئَتْ مِن سَمِينَاتِ الذُّرَى فيها تَرَعْ

٣٦- لا يَخَافُ الغَدْرَ مَنْ جَاوَرَهُمْ   أَبَداً مِنْهُمْ ولا يَخْشَى الطَّبَعْ
٣٧- وَمَسَامِيحُ بِما ضُنَّ بِه   حَاسِرُو الأَنْفُسِ عن سُوءِ الطَّمَعْ
٣٨- حَسَنُو الأَوْجُهِ بِيضٌ سَادَةٌ   وَمَرَاجِيحُ إذا جَدَّ الفَزَعْ
٣٩- وُزُنُ الأَحْلامِ إِنْ هُمْ وَازَنُوا   صَادِقُو البَأْسِ إذا البَأْسُ نَصَعْ
٤٠- وَلُيُوثٌ تُتَّقَى عَرَّتُهَا   سَاكِنُو الرِّيحِ إِذَا طَارَ الفَزَعْ
٤١- فَبِهِمْ يُنْكَى عَدُوٌّ وَبِهِمْ   يُرْأَبُ الشَّعْبُ إذا الشَّعْبُ انْصَدَعْ
٤٢- عَادَةٌ كَانَتْ لهم مَعْلُومَةً   في قَدِيم الدَّهْرِ لَيْسَتْ بالبِدَعْ
٤٣- وإذا ما حُمِّلوا لم يَظْلَعُوا   وإذا حَمَّلْتَ ذا الشِّفِّ ظَلَعْ
٤٤- صَالِحُو أَكْفَائِهِم خُلاَّنُهُمْ   وَسَرَاةُ الأَصْلِ والنَّاسُ شِيَعْ
٤٥- أَرَّقَ العَيْنَ خَيَالٌ لم يَدِعْ   مِنْ سُلَيْمَى فَفُؤَادِي مُنْتَزَعْ
٤٦- حَلَّ أَهْلِي حَيْثُ لا أَطْلُبُهَا   جَانِبَ الحِصْنِ وَحَلَّتْ بالفَرَعْ
٤٧- لَا أُلَاقِيهَا وَقَلْبِي عِنْدَهَا   غَيْرَ إلمامٍ إذا الطَّرْفُ هَجَعْ
٤٨- كَالتُّؤَامِيَّةِ إِنْ بَاشَرْتَهَا   قَرَّتِ العَيْنُ وَطَابَ المُضْطَجَعْ
٤٩- بَكَرَتْ مُزْمِعَةً نِيَّتَهَا   وَحَدَا الحَادِي بِهَا ثُمَّ انْدَفَعْ
٥٠- وَكَرِيمٌ عِنْدَهَا مُكْتَبَلٌ   غَلِقٌ إِثْرَ القَطِينِ المُتَّبَعْ
٥١- فَكَأَنِّي إِذْ جَرَى الآلُ ضُحَىً   فَوقَ ذَيَّالٍ بِخَدَّيْهِ سَفَعْ
٥٢- كُفَّ خَدَّاهُ على دِيبَاجَةٍ   وعلى المَتْنَيْنِ لَونٌ قَدْ سَطَعْ
٥٣- يَبْسُطُ المَشْيَ إذا هَيَّجْتَهُ   مِثْلَ ما يَبْسُطُ في الخَطْوِ الذَّرَعْ
٥٤- رَاعَهُ مِنْ طَيِّءٍ ذُو أَسْهُمٍ   وَضِرَاءٌ كُنَّ يُبْلِينَ الشِّرَعْ
٥٥- فَرَآهُنَّ وَلَمَّا يَسْتَبِنْ   وَكِلابُ الصَّيْدِ فِيهِنَّ جَشَعْ

٥٦- ثُـمَّ وَلَّـى وَجَنَـابَـانِ لَـهُ ... مِـنْ غُبَـارٍ أَكْـدَرِيٍّ وَٱتَّـدَعْ

٥٧- فَتَـراهُـنَّ علـى مُهْلَتِـهِ ... يَخْتَلِيـنَ الأَرْضَ والشَّـاةُ يَلَـعْ

٥٨- دَانِيَـاتٍ مَـا تَلَبَّسْـنَ بِـهِ ... وَاثِقَـاتٍ بِـدِمَـاءٍ إِنْ رَجَـعْ

٥٩- يُـرْهِـبُ الشَّـدَّ إذا أَرْهَقْنَـهُ ... وَإِذا بَـرَّزَ مِنْهُـنَّ رَبَـعْ

٦٠- سَـاكِـنُ القَفْـرِ أَخُـو دَوِّيَّـةٍ ... فَـإِذا مـا آنـسَ الصَّـوْتَ ٱمَّصَعْ

٦١- كَتَبَ الرَّحمٰنُ وَالحَمْدُ لَهُ ... سَعَـةَ الأَخْـلاَقِ فِينَـا والضَّلَـعْ

٦٢- وَإِبَـاءً لِلـدَّنِيَّـاتِ إِذَا ... أُعْطِـيَ المَكْثُـورُ ضَيْمَـا فَكَنَـعْ

٦٣- وَبَنَـاءً لِلمَعَـالـي إِنَّمـا ... يَـرْفَـعُ اللهُ ومَـنْ شَـاءَ وَضَـعْ

٦٤- لا يُرِيدُ الدَّهْرَ عنها حِوَلاً ... جُـرَعَ المَـوْتِ ولِلمَـوْتِ جُـرَعْ

٦٥- نِعَـمٌ للهِ فِينَـا رَبَّهَـا ... وَصَنِيـعُ اللهِ واللهُ صَنَـعْ

٦٦- كَيْفَ بِٱسْتِقْرَارِ حُرٍّ شَاحِطٍ ... بِبِـلَادٍ لَيـس فيهـا مُتَّسَـعْ

٦٧- رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً قَلْبَهُ ... قَـدْ تَمَنَّـى لِـيَ مَـوْتـاً لـم يُطَـعْ

٦٨- وَيَرَانِي كالشَّجَا في حَلْقِهِ ... عَسِـراً مَخْـرَجُـهُ مـا يُنْتَـزَعْ

٦٩- مُزْبِدٌ يَخْطِرُ ما لم يَرَنِي ... فَـإِذا أَسْمَعْتُـهُ صَـوْتِـي ٱنْقَمَـعْ

٧٠- قَدْ كَفَانِي اللهُ ما فِي نَفْسِهِ ... وَمَتَـى مَـا يَكْـفِ شيئـاً لا يُضَـعْ

٧١- بِئْسَ ما يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي ... مَطْعَـمٌ وَخْـمٌ وَدَاءٌ يُـدَّرَعْ

٧٢- لَمْ يَضِرنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي ... فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ

٧٣- وَيُحَيِّينِـي إِذَا لَاقَيْتُـهُ ... وإذا يَخْلُـو لَـهُ لَحْمِـي رَتَـعْ

٧٤- مُسْتَسِرُّ الشَّنْءِ لو يَفْقِدُنِي ... لَبَـدَا مِنْـهُ ذُبَـابٌ فَنَبَـعْ

٧٥- سَاءَ مَا ظَنُّوا وَقَدْ أَبْلَيْتُهُمْ ... عِنْدَ غَايَاتِ المَدَى كَيفَ أَقَعْ

٧٦- صَاحِبُ المِئْرَةِ لا يَسْأَمُها ... يُوقِدُ النَّارَ إذا الشَرُّ سَطَعْ

٧٧- أَصْقَعُ النَّاس بِرَجْمٍ صَائِبٍ ... ليس بالطَّيْشِ ولا بالمُرْتَجَعْ

٧٨- قَارِغُ السَّوْطِ فما يَجْهَدُنِي ... ثَلِبٌ عَودٌ ولا شَخْتٌ ضَرَعْ

٧٩- كَيفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا ... لاَحَ في الرَّأسِ بَيَاضٌ وَصَلَعْ

٨٠- وَرِثَ البِغْضَةَ عَنْ آبائِهِ ... حَافِظُ العَقْلِ لِمَا كَانَ ٱسْتَمَعْ

٨١- فسعى مَسْعَاتهم في قومه ... ثُمَّ لم يَظْفَرْ ولا عَجْزاً وَدَعْ

٨٢- زَرَعَ الدَّاءَ ولم يُدْرِكْ بِهِ ... تِرَةً فَاتَتْ ولا وَهْياً رَقَعْ

٨٣- مُقْعِياً يَرْدِي صَفَاةً لم تُرَمْ ... فِي ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ

٨٤- مَعْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كَانَ بِهِ ... غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أَنْ تُقْتَلَعْ

٨٥- غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمُ ... فَأَبَتْ بَعْدُ فَلَيْسَتْ تُتَّضَعْ

٨٦- لا يَرَاهَا النَّاسُ إلا فَوْقَهُمْ ... فَهْيَ تَأتي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعْ

٨٧- وَهْوَ يَرْمِيها وَلَنْ يَبْلُغَهَا ... رِعَةَ الجَاهِلِ يَرْضَى ما صَنَعْ

٨٨- كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى ٱبيَضَّتا ... فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعْ

٨٩- إِذْ رَأى أَنْ لَمْ يَضِرْهَا جَهْدُهُ ... وَرَأَى خَلْقَاءَ ما فِيها طَمَعْ

٩٠- تَعْضِبُ القَرْنَ إذا نَاطَحَهَا ... وإذا صَابَ بها المِرْدَى ٱنْجَزَعْ

٩١- وَإذا مَا رَامَهَا أَعْيَا بِهِ ... قِلَّةُ العُدَّةِ قِدْمَاً والجَدَعْ

٩٢- وَعَدُوٍّ جَاهِدٍ نَاضَلْتُهُ ... في تَرَاخِي الدَّهْرِ عَنْكُمْ والجُمَعْ

٩٣- فَتَسَاقَيْنَا بِمُرٍّ نَاقِعٍ ... فِي مَقَامٍ لَيْسَ يَثْنِيهِ الوَرَعْ

٩٤- وَٱرْتَمَيْنَا والأَعَادِي شُهَّدٌ ... بِنِبَالٍ ذَاتِ سُمٍّ قَدْ نَقَعْ

٩٥- بِنِبَالٍ كُلُّهَا مَذْرُوبَةٌ ... لَمْ يُطِقْ صَنْعَتَهَا إلاَّ صَنَعْ

٩٦- خَرَجَتْ عَنْ بُغْضَةٍ بيِّنَةٍ | في شَبَابِ الدَّهْرِ والدَّهْرُ جَذَعْ
٩٧- وَتَحَارَضْنَا وَقَالُوا إنَّمَا | يَنْصُرُ الأَقْوَامَ مَنْ كَانَ ضَرَعْ
٩٨- ثُمَّ وَلَّى وَهْوَ لا يَحْمِي ٱسْتَهُ | طَائِرُ الإتْرَافِ عَنْهُ قَدْ وَقَعْ
٩٩- سَاجِدَ المَنْخِرِ لا يَرْفَعُهُ | خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ المُسْتَمَعْ
١٠٠- فَرَّ مِنِّي هَارِباً شَيْطَانُهُ | حَيْثُ لا يُعْطِي ولا شَيْئاً مَنَعْ
١٠١- فَرَّ مِنِّي حِينَ لا يَنْفَعُهُ | مُوقَرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ المُتَّضَعْ
١٠٢- وَرَأَى مِنِّي مَقَاماً صَادِقاً | ثَابِتَ المَوْطِنِ كَتَّامَ الوَجَعْ
١٠٣- وَلِسَاناً صَيْرَفِيّاً صَارِماً | كَحُسَامِ السَّيْفِ ما مَسَّ قَطَعْ
١٠٤- وَأَتَانِي صَاحِبٌ ذُو غَيِّثٍ | زَفَيَانٌ عِنْدَ إنْفَادِ القُرَعْ
١٠٥- قَالَ لَبَّيْكَ وَمَا ٱسْتَصْرَخْتُهُ | حَاقِراً لِلنَّاسِ قَوَّالَ القَذَعْ
١٠٦- ذُو عُبَابٍ زَبِدٌ آذِيُّهُ | خَمِطُ التَّيَّارِ يَرْمِي بِالقَلَعْ
١٠٧- زَغْرَبِيٌّ مُسْتَعِزٌّ بَحْرُهُ | لَيْسَ لِلمَاهِرِ فِيهِ مُطَّلَعْ
١٠٨- هَلْ سُوَيْدٌ غَيْرُ لَيْثٍ خَادِرٍ | ثَئِدَتْ أَرْضٌ عَلَيْهِ فَٱنْتَجَعْ

المُفَضَّلِيَّات ٣٨١-٤٠٩

سُوَيد بن أبي كاهل

من بني حارثة بن حِسْل بن مالك بن. . . يَشْكُر بن بَكْر بن وائل بن قاسط. . بن أَسَد بن ربيعة بن نزار[١]. وجعله محمد بن سَلاَّم الجمحي (ت٢٣١هـ) في الطبقة السَّادسة من فحول شعراء الجاهلية مع عمرو بن كلثوم، والحارث بن حِلِّزة، وعنترة بن شَدَّاد[٢]. ويقول ابن سلاَّم الجمحي: وله قصيدة أوَّلها:

بسطــــت رابعـــة الحبـــل لنـــا فمـددنـا الحبـل منهـا مـا اتَّسَـع

وله شعر كثير، ولكن برزت هذه على شعره[٣].

---

(١) المفضليات ص٣٨٢.

محمد بن سلاَّم الجمحي (ت٢٣١هـ): **طبقات فحول الشعراء**. قرأه وشرحه: الأستاذ محمود محمد شاكر (مطبعة المدني. القاهرة ١٩٧٤م) ص١٥٢.

(٢) طبقات فحول الشعراء ص١٥١-١٥٢.

(٣) ذاته ص١٥٣.

وانظر تمثل الحجاج بهذه القصيدة في ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) **الشعر والشعراء** (دار الثقافة - بيروت. بدون تاريخ) ص٣٣٤-٣٣٥.

وسويد بن أبي كاهل شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية دهراً، وَعُمِّر في الإسلام عمراً طويلاً، عاش إلى ما بعد سنة ٦٠هـ[١].

(١) المفضليات. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ص١٩٠.

في التذوق الجمالي للقصيدة

١- بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنَا   فَوَصَلْنَا الحَبْلَ مِنْهَا مَا ٱتَّسَعْ

ويروى: فَبَسَطْنَا الحَبْلَ.

ويروى: بَسَطَتْ رابعةُ الوَصْلَ لنا.

والمعنى: بَسَطَتْ لنا وَصْلَها وَوُدَّها.

ما ٱتَّسَعْ: ما ٱمْتَدَّ.

فَوَصَلْنا الحبل: أي بَذَلْنَا لها وَصْلَنا وَوَصَلْنَاها بِوَصْلِها.

والحَبْلُ: الوَصْل.

وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ «رابعةَ» ههُنا هي حَبيبةٌ «حَرَكِيَّة» شِعريَّة وليست حبيبةَ تَهْيَامٍ وغرام. يُعَزِّزَ ذلك قوله «لنا» بصيغة ضمير الجماعة. ثم إنَّها ههُنا هي البادئة بالتَرَفُّق وصَاحِبَهُ حُسن النِيَّة؛ وليس هذا مِنْ طبع العربيات ذوات النِّفار كمثل مَا عَبَرَهُ كعب بن زهير رضي الله عنه في رائعته «بانت سعاد»:

وما تَمَسَّكُ بالوَصْلِ الذي زَعَمَتْ   إلاَّ كما تُمْسِكُ الماءَ الغَرَابِيلُ[(١)]

(١) في التذوق الجمالي لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد» في مدح الرسول ﷺ ص١١.

وواضح من بيت كعب بن زهير مِقدارُ صِلَة الوَصْلِ بالحَبْلِ، والتَمَسُّك بـه، والامتسـاك، والاستمساك؛ وهـو تجسيـد للمـودَّة، ودرجات قُوَّتها، أو تَذَبْذُبِها؛ بمقياسٍ ما كانَ أقربَ قِراءَتَهُ في حياة العَرَب في الصحراء.

وقوله: «ما ٱتَّسَع» دليل على تلكؤ السَّرْدِ، وقِلَّة تَدَفُّق العاطفة وَهَيَجانها؛ وأنَّها «الهندسة» الشعرية على حِسَاب حرارة الصِّدق، وَتَرْجُمَانِ الحَال.

ولا خَفَاءَ بجمال تَكْرار «الحَبْل» في البيت، بما يجعله مركز ثِقَلِ الجَذْبِ، والتجاذب، ورصد حركة الشِّعر واتجاهه في هذا المطلع الأنيق الجميل.

٢- حُـرَّةٌ تَجْلُـو شَتِيتَـاً وَاضِحـاً كَشُعَاعِ الشَّمسِ في الغَيمِ سَطَعْ

الشَّتيت: المُتَفَرِّق، يعني الأسنان. وقيل: الشَّتيت: ثغر مُفَلَّج[١] ليس بمتراكب.

الواضح: الأبيض.

حُرَّة: عتيقة الوجه؛ حَسَنَةٌ.

---

(١) الفَلَج في الأسنان: تباعد ما بين الثَّنايا والرَّباعيات. يقال: رَجُلٌ أفلج الأسنان، وامرأة فَلْجاءُ الأسنانِ.

محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ): **مختار الصِّحاح** ط١ (دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٩م): **فلج**.

وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ «حُرَّةً» ههنا هي الحُرَّة[1]: ضِدُّ الأَمَةِ؛ ذلك أنَّه (الشَّاعر) جعلها البَادئة بالسَّلام والكلام، وبَسْطَة الوجه والبَشَاشة؛ وهو أَمْرٌ يَصْرِفُ الظَنَّ إلى الإماءِ والجواري، بأكثَرَ مِنه في الحَرائر. فجاءَ البيت الثاني ليدفَع التَوَهُّمَ، وَيُنَبِّهَ على المركز الاجتماعي، والموقع «الحضاري».

تجلو: تكشف. يُفَسِّر ذلك بيت كعب بن زهير في مثل هذا السِّياق:

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ٱبْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ[2]

ويلاحظ أنَّ الكَشْفِ عن بياض الأسنان يلوحُ حين التَبَسُّم، ويكون بزاوية مُعَيَّنة يلحظه النَّاظر كشعاع الشمس يسطع في الغيم سرعان ما يختفي بفعل حركة امتداد الغيم وَٱتِّساعه.

٣- صَقَلَتْهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ ... مِنْ أَرَاكٍ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعْ

ويروى: «بقضيب طَيِّبٍ مِنْ أَراكٍ ناضِرٍ».

ويروى: بقضيب ناعم.

وعنى بالقضيب: المسواك.

نَاضِر: ناعم: أخضر، رَيَّان. قال الله عز وَجَلَّ: ﴿وجوه يَومئذٍ نَاضِرَة﴾ [القيامة: ٢٢].

نَصَعَ: خَلُصَ لَوْنُهُ.

---

(١) مختار الصحاح: حرر.

(٢) في التذوق الجمالي لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد» ص١٠.

وتُتَّخَذُ المَسَاويك من الأراك والبَشام والإسْحِل والضَّرْوِ (وهو شَجَر الحَبَّة الخَضْراء) والعُتُم (وهو الزيتون).

٤- أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذاً طَعْمُهُ طَيِّبَ الرِّيقِ إذا الرِّيقُ خَدَعْ

يقال: خَدَعَ رِيقُهُ: إذا تَغيَّرَ، وخَدَعَتْ عَيْنُهُ: إذا لم تَنَمْ.
يقال: أتيناهم بعدما خَدَعَتِ العَينُ وَهَدأَتِ الرِّجْلُ أي: انقطع المشي.
وقال الأصمعي: خَدَعَ: نَقَصَ، وإذا نَقَصَ خَثَرَ، وإذا خَثَرَ وَغَلُظَ أَنْتَنَ. ومِن ثَمَّ يَخْلُفُ فَمُ الصَّائم.
ويقال: خَدَعَ: قَلَّ ويَبِسَ. وإنما يكون خُلُوفُ الفم مع يُبْس الرِّيق.

و«أبيضَ» و«لذيذاً» و«طَيِّبَ» - كما يراها كاتب هذا التذوق - منصوبة على التمييز، أي تمييز اللون الأبيض عن غيره، واللذاذة عن غيرها، والطِّيب عن غيره.

واللَّذاذة ههنا - فيما يراها كاتب هذا التذوق - ما تستشعره صَاحِبَهُ الفم بِفَمَها من حُسْنِ النَّكهة، والشعور بنظافة الفم. وهو شعور يستشعره الذين يحافظون على أسنانهم ويفتقده غيرهم. ولا ينفي هذا أن يكون طَعْم فمها لذيذاً، ولكن نُرَى أَنَّ يكون الشَّاعر لم يُرِدِ الحديث عن حبيبته بما يُمكن أن يفهم غير الذي قُدِّمَ.

٥- تَمْنَحُ المرآةَ وَجْهاً وَاضِحاً مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ في الصَّحْوِ ٱرْتَفَعْ

تَمْنَحُ المرآة: تعطي النَّظَر.
قَرْنُ الشمس: جانب من جوانبها.

والوجه الواضح - كما يراه كاتبُ هذا التذوق - هو قُوَّةُ حُضُور هذا الوجه على ناظره. وتمنح المرآة الوَجْهَ فيه الدَّلالة على قُوَّة هذا الحضور؛ أي لا تكاد تخفي من وجهها شيئاً. وارتفاع جانب الشمس وقت الصَّحو في الأفق فيه قُوَّة الحضور في عيون النَّاظرين.

٦- صَافِيَ اللَّونِ، وَطَرْفاً سَاجِياً أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ ما فيه قَمَعْ

سَجَا الطَّرْفُ يَسْجُو سُجُوّاً إذا سَكَنَ. وهو طَرْفٌ ساج. ومنه قول الله عز وجل: ﴿والليل إذا سَجَا﴾ [الضُّحى: ٢].

والقَمَع: كَمَدٌ في لَحْمِ المُؤق، وورم فيه.

وقيل: القَمَع حمرة في العين، وفساد في المُؤْقِ.

يقال: قَمِعَتِ العين تَقْمَعُ قَمَعاً، وعَينٌ قَمِعَةٌ.

وَقِيل: السَّاجي: الذي ليس حديداً كثيرَ التحرك.

وكاتب هذا التذوق يرى البيت تعزيزاً لفكرة أنَّ «رابعة» هي حبيبة «شعرية» وليست وَاقعاً كان موجوداً. وليس ثَمَّة مَنْ يَتَنَبَّه إلى صفاء لون الوجه إلاَّ أن يكون هو الذي يَرْسُمُ صورةَ المرأة «المثال»، ويتخيَّرُ النِّسَبِ التي يُريد، لا أن يَقْبَلَ بما هو موجود، أو كما يقول المثل الإنجليزي: Collect it or leave it إمَّا أن تَقْبَلَ، وإمَّا أن تترك.

والطَّرْفُ السَّاجي هو الطَّرف الذي لا يُجيل النَّظرَ، وفُضُولَ النَّظر، في زوايا مختلفة، وبانعكاساتٍ متفاوتة. ومنظر المرأة التي تُحَدِّد البَصَرَ في الرِّجال، وتكثر من التصويب والتَّصعيد - مَنْظَرٌ مُؤذٍ حَقّاً؛ ويمحق كُلَّ صفات الخَفَرِ والحياء التي تُسْتَحَبُّ في الفتاة. وإذا كانت الفتاة «قَاصِرةَ الطَّرْف» فهي أقدر على انتزاع إعجاب «العربي» الذي

يأسِرُه الحياءُ، ويسبي قَلْبَهُ وعَقْلَهُ الجَلالُ والوقار.

وهي خِصلة حميدة أضفاها رَبُّ العالمين على حُورِيَّات الجَنَّةِ، ومَسْلكهنَّ الأُنموذج، وشكلهن الجميل.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعِنْدَهم قَاصِرَاتُ الطَّرْف عِين﴾ [الصَّافات:٤٨].
وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعِنْدَهُم قَاصِراتُ الطَّرْفِ أتراب﴾ [ص:٥٢].
وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فيهن قَاصِراتُ الطَّرْفِ لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانّ﴾ [الرحمن:٥٦].

إنَّ تَرديدَ هذه الخِصلة ثلاثَ مَرَّات في كتاب الله تعالى وفي أنساق مختلفة لَيُبْدي كيف ثَمَّة يكون التَعَلُّقُ بمثل هذه «الفتاة» الأنموذج للمؤمن في الجِنَان. وهي صورة تلتقي وتقديرات «العربي» القريب من الفِطرة في مجتمعات البادية والأرياف. ومن ظَنَّ أو راهنَ على فكرة أنَّ «العربي الأصيل» يمكن أن يكون مُحِبّاً للاختلاط بين الجنسين فِعْلَ المجتمعاتِ الأوروبية والأمريكية فهو واهم حَقّاً، وراهَنَ على الجواد الخَاسر. إنَّ في أعماق «العربي الأصيل» أو لنقل «العربي العربي» حُبُّ الاستئثار بحبيبته شَكلاً ومضموناً، حَرَكَاتٍ وَسَكَناتٍ، ولا يُطيق أو يتصور أنه يطيقُ أنْ يرى غيره يُفَكِّرُ فيها مُجَرَّدَ تفكير.

ويحضرني في هذا المقام - ما كان من رئيس جامعة الأزهر وقت الحكم البريطاني لمصر، إذ قيل إنَّ الحاكم البريطاني لمصر في أوائل القرن العشرين زار هذا الرجل في بيته. وكانت زوج الحاكم معه. وجلسا في صالة الاستقبال. ثم استغرب الحاكم من غياب زوج الرجل المصري عن الحضور مع أنَّه هو يصطحب عياله معه. فسأل

رئيسَ جامعة الأزهر مستغرباً، وأبدت زوج الحاكم رغبتها في رؤية المصرية في غرفتها، ولكنَّ زوجها أبى. قال رئيس جامعة الأزهر: إنَّ امرأتك تُخَالِطُ مجتمعات الرِّجال وهذه قد فَسَدَت أنوثَتُها؛ ومن ثَمَّ فهي ليست في مقام مَنْ تخالط زوجتي.

ويقال: إنَّ الحاكم البريطاني أثنى على مواقف الرَّجُلِ، وَتَمَنَّى لو كان ٱستطاع أن يتعامل مع امرأته الإنجليزية بمثل هذه الرؤية «الحضارية».

وشتان ما بين الموقفين!.

وكما جمعت الآية القرآنية الكريمة ﴿وعِنْدَهم قَاصِراتُ الطَّرف عِين﴾ [الصَّافات: ٤٨]؛ والعِين: العيون الواسعة الجميلة؛ بين قُصُور الطَّرف وجمال العيون؛ فكذلك جمع بيتُ الشِّعر بين الطَّرف السَّاجي وجمال العينين. وهذا يُعطينا الثقة بل «يمنحنا» الثقة بلغة الشاعر في بيته «تمنح المرآة وجهاً» بأنَّ نظرة العربي للجمال قد كانت نظرة كُلِيَّة صَائبة وفي موقعها الجمالي - كما صَوَّر ذلك رَبُّ العالمين في مشاهد أهل الجَنَّة، و«لقطاتها» الجمالية.

وأمَّا قول الشَّاعر: «ما فيه قَمَعْ» فَنُراه قد كان على سبيل الاحتراس؛ وهو دفع التوهم أن يكون «الكُحْلُ» في العينين قد كان «صِناعياً»؛ وأنَّه كان «عِلاجياً» للرَّمد الحُبيبي أو لليرَقان أو للصفرة في العينين - بسبب المرض أو العدوى «الفايروسية» Virus. إنَّها «كحلاء»

العينين خِلْقَةً، وليس تَكَحُّلاً أو اكتحالاً[1].

وإذا كان الشَّاعر قد كان اسمه «سُوَيداً» تصغير ترخيم للفظة «الأسود» لوناً[2]؛ فذلك في القرينة على أنَّ أنَّه «الشاعر» قد كان يحب «الكُحْلَ» الأسود في العيون، أو قل يُحِبُّ العينين الكِحَيلتين.

٧- وَقُـرُونَـاً سَـابِغَـاً أَطْـرَافُهـا   غَلَّلَتْهَـا رِيـحَ مِسْـكٍ ذِي فَنَـعْ

القُرُون: الذَّوائب. وقيل: القُرون: الخُصَل من الشَّعَر وأراد: ذوائبها.

غَلَّلتها: دَخَلَتْ فيها الرِّيحُ.

ويروى: عَلَّلَتْها: أي مَرَّةً بعد مَرَّةٍ.

والفَنَعْ: الكثرة، والفَضْلُ، والزِّيادة.

وروي: «ريحُ مسك» برفع لفظة «ريح».

قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري: وما عَلِمْتُ أحداً رواها رَفْعَاً غيرهُ: كُلُّهُم نَصَبَها.

وقال: غلَّلتها المرأةُ: الفِعْلُ لها: أدخلت ريحَ المسك.

أي أدخلت المسك فيها.

والمعنى المُجْمَل كما يراه كاتب هذا التذوق:

---

(١) في مختار الصحاح مادة «**كحل**».
رَجُلٌ أكحل: بيِّن الكَحَل وهو الذي يعلو جُفُونَ عينيه سَوَادٌ مثل الكُحْل من غير اكتحال.

(٢) مختار الصحاح: **سود**.

تمنح هذه المرأةُ المرآةَ ذوائبَ ضافِيةً أدخلْت فيها المِسْكَ بِسَخاء. وذلك كناية عن طول الشَّعَر وكثافته، وكثرة العناية به، والانتماء إلى شريحة اجتماعية ذات دَخْلٍ يسمح لها بالتعامل مع «الماكياج» وأدوات التجميل والزِّينة بسخاء دونما تحسب من الفقر.

ولفظة «غَلَّلتها» أكثر شاعرية في هذا المقام من لفظة «عَلَّلتها». وغَلَّلتها: أي أوصلت المسكَ بُصيلاتِ الشعر، وأُصولَه.

٨- هَيَّجَ الشَّـوقَ خَيـالٌ زَائِـرٌ   مِـنْ حَبيـبٍ خَفِـرٍ فيـه قَـدَعْ

الخَفَرُ: الحَياءُ.

والقَدَعْ: الرَدّ. يقال: قَدَعْتُهُ: أي رَدَدْتُهُ.

وقيل: الانقداع: الانقِباض.

وقول الشاعر: فيه قَدَعٌ: أي حَياءٌ، فكيف زارنا وهو مُسْتَحْيٍ أن يُرَى على هذا البُعْدِ.

والدَّلالة الهامشية للفظة «قَدَع» كما يراها كاتب هذا التذوق هي التَّمنُّع، وذلك كما يبين في بيت الرئيس أبي علي بن سينا (ت٤٢٨هـ) في قصيدته الجميلة في النَّفْس:

هَبَطت إليكَ من المَحَلِّ الأَرْفَعِ   وَرْقَـاءُ ذاتُ تَعَـزُّزٍ وَتَمَنُّـعِ(١)

ويلاحَظُ أَنَّ الشَّاعر ترك «رابعة» وشَأْنَها؛ وَطفِقَ يتوكَّأُ على مخزونه

---

(١) أبو العباس شمس الدين بن خَلّكان (ت٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. ت. إحسان عباس (دار صادر - بيروت ١٩٦٩م) ٢: ١٥٧-١٦٠.

مع الحسناوات من الذَّاكرة. وهذا يؤكِّد ما ذهبنا إليه في مطلع القصيدة من أنَّ «رابعة» حبيبةٌ شعريـة ليس لها على أرض الواقع مُثُولٌ.

وتقديم «الشَّوق» على الخيال الزائر تقديمَ المفعول على الفاعل يَدُلَّ على أنَّ الشاعر يستبطن ذاته، ويستخرجُ مكنوناتِ نفسه؛ وأنَّه لم يكن للخيال الزائر أكثر من «إشعال عُود ثِقاب لتفجير حقل الألغام».

٩- شَـاحِـطٍ جَـازَ إلـى أَرْحُلِنَـا عُصَبَ الغَابِ طُرُوقاً لم يُرَع

شَحَط شُحُوطاً: إذا أَفْرَطَ في السَّوْمِ وباعَدَ فيه.
الطُّروق: زيارة الليل.
والغَاب: جمع غابة وهي الأَجَمة.
والعُصَب: الجماعات.
لم يُرَعْ: لم يُفْزَع.

ودلالة «شاحط» ههنا هي القُدُوم من مسافات بعيدة، كناية عن طول المسير في البلاد.
وجازَ: ههنا: قَطَع.
والطُّروق: كناية عن السَّفَرِ ليلاً.

والحديث عن «الرَّوع» ههٰنا دلالة على ما يتجشمه الشَّاعر من قطع الفلوات المخوفة وبخاصة في أوقات الليل.

و«شاحط» كما يراه كاتب هذا التذوق صفة لِـ«حبيب».

١٠- آنِسٍ كانَ إذا ما ٱعْتَادَنِي حَـالَ دُونَ النَّـوْمِ مِنِّـي فَـٱمْتَنَـعْ

والبيت - كما يراه كاتب هذا التذوق - هو «حديث» الذكريات؛ إذ قد صَدَّره بفعل كَونٍ مَاضٍ. والحديث عن الأُنْسِ هو افتقاده الآن في طريق الرِّحلة. وامتنع ههنا هي امتنع النَّومُ عن عيوني. وآنسٍ: معطوفة على «شَاحِطٍ».

١١- وَكَذَاكَ الحُبُّ ما أَشْجَعَهُ يَرْكَبُ الهَولَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعْ

وَزَعَه يَزَعُهُ إذا كَفَّه.

والتصريح بهذا التعميم على هذا النهج - كما يراه كاتب هذا التذوق - وصف خارجي، وتعميم بعيد عن رُوح التجربة والمعاناة.

١٢- فَأَبِيتُ اللَّيْلَ ما أَرْقُدُهُ وَبِعَيْنَيَّ إذا نَجْمٌ طَلَعْ

ويروى «وَيُعَنِّينِي إذا نَجْمٌ طَلَعْ».

يُعَنِّينِي: يُتْعِبُنِي.

يصف أَنَّهُ سَاهِرٌ ليس ينام فهو يُرَاعي النُّجُوم. ومعناه: أَنِّي أَمْكُثُ الليل سَاهِراً.

وإذا كان كذلك - فهُمُومُه أكبر من واقعه، وهو مشحون بِشَتَّى الأفكار، وهو مُوزَّع العواطف. ولا عجب أن تَبْرُز «سَلْمَى» بحبها بعد أن كانت «رابعة» قد سَبَتْهُ بحضورها وشبابِها.

١٣- وإذا ما قُلْتُ لَيلٌ قَدْ مَضَى عَطَفَ الأَوَّلُ منه فَرَجَعْ

وَرُوِي: «عُطِفَ الأَوَّلُ» بصيغة المبني للمجهول.

أي: أَنَّ الليل ثابت لا يكاد يبرح.

وأراد بِليل: قِطْعَةً من الليل. يقال: قد مَضَى قِطْعَةٌ، وجاءنا بعد

قِطعَةٍ من الليل. وهو شبيه بقول امرىء القيس:

فَقُلْتُ لـه لمَّـا تَمَطَّـى بِصُلْبِـهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَـازاً ونَـاءَ بِكَلْكَـلِ

ويُلاحِظُ المُدَقِّق في الشِّعر الجاهلي أنَّ اللَّيل في عيونهم هو جَسَدٌ له حركات وأطراف، ومقاديم ومآخير. وذلك ما يُكْسِبُ الشعرَ حياةً، وحركة، ويجعله مليئاً بالكثافات والألوان وتَعَدُّدِ القرائن والنِّسب. وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ تعلق أبي تمام (ت٢٣١هـ) بتجسيد الدَّهر وتشبيهه الشِّتاءَ بالجملِ (العَودِ الرَّكوب) إنَّما تكَوَّن لديه من كثرة قراءاته في الشعر الجاهلي، وتلمسه تجسيدَ اللَّيلِ في أشعارهم وعيونهم.

وإجراء الحوار على هذه الطريقة: «وإذا ما قُلْتُ».. فيه الكثير من الجمال الفني، والتواضع الشَّخْصِي، واحترام مشاعر السَّامعين، وإشراكِهم في تَحَسُّباته؛ إضافةً إلى جمال المراوحة بين «إذا» وما تفترضه من مُسْتَقْبَلاتِ الأمور وما يُنْسَقُ بعدها من أربعة أفعال ماضية تستوفي شرائط الشَرْطِية في «إذا» وتغاير المألوف من التعامل مع المضارع بصفته المَادَّة الجاهزة لما يستقبل من الزَّمان. وفي مثل هذه اللَّمْسَات الفَنِّية، والرَّشاقة اللغوية يكون ثَمَّة الفرق بين الشاعر الموهوب وبين من جَانَبَتْهُ الموهبةُ في النَّظم.

ثم هذه الشَّبَكَةُ من العلائق المختلفة ما بين ضمير المتكلم، وضمير الغائب، ثم تبعيض ضمير الغائب في أَوَّلٍ يفترض وُجُودَ ثانٍ وثالث ورابع قد سُكِتَ عنها، وأُمْسِكَ عن ذِكْرِها، ثِقَةً مِنَ الشَّاعر بفطنة السَّامع على إعادة تكوين الصُّورة في ذهنه، ومحاولة لَمْلَمَةِ أجزائها

ومُكَوِّناتها من جديد. ثم هذا العطف للفعل «رَجَع» على «مَضَى» دون ذكرٍ للعطف من حيث هو واقع نحوي، والتصريح بذكر «العطف» ومفهومه من خلال تجزئةِ «الليل» الواحدِ، والتعامل معه على أساسٍ من التقسيم، والتنوع، واختلاف الكَثَافات، والحُجوم، ووحدات الأطوال.

١٤- يَسْحَبُ اللَّيلُ نُجُومَاً ظُلَّعَاً فَتَــوَالِيَهــا بَطِيئَــاتُ التَّبَــعْ

ظُلَّعاً من الظُّلُوع. والظُّلُوع في الإبل بمنزلة الغَمْز: يقال: ظَلَعَ يَظْلَعُ ظَلْعَاً وظُلُوعا. وبعيرٌ ظالع.

التَوالي: الأواخر. يقال: بقيت لي حَوَائِجُ فأنا أَتَتَلاَّها أي: أتتبَّعها، وأَقْضِيها.

وقيل: ظُلَّعا: مَثَلٌ. أي كَأَنَّها من شِدَّة إبطائها إِبلٌ بها ظَلْعٌ فليست تكاد تَغْرُبُ. وإنَّما يصف طُول الليل، وتواليها: مآخيرُها.

والبيت - في رأي كاتب هذا التذوق - يُبَيِّن بوضوح أَنَّ الليل عند هؤلاء الشعراء هو البَعير، وأنَّ حديثَ امرىء القيس عن الصُّلب والأعجاز والكلكل إنما هو من استعارة البعير لليل. إنَّ قرائن الشعر تفهق بذلك، وتؤكِّده. وقد جادلني أستاذي من جامعة أكسفورد من أنَّ التصريح باستعارة البعير لليل في بيت امرىء القيس أمرٌ ينطوي على المغالطة، ولا يقوم عليه الدَّليل الواضح[1].

---

(١) سيكون لي معالجة لهذا البيت - الاستعارة عند امرىء القيس في بحث مستقل إن شاء الله تعالى.

ويروى: طُلَّعاً جمع طَالِع.

ويستبعد كاتب هذا التذوق - رواية «طُلَّعاً» بالطاء المهملة ويراها بعيدة عن الاتساق مع الرؤية الأفقية للسَّحب والتوالي وبطيئات التَّبع كأنَّها القافلة من الإبل أو المواشي. أمَّا الطُّلوع فهو رأسي، وليس فيه مثل هذه الحركة الشبيهة بالتفاوت بين الإبل الصحيحة والإبل الظَّالعة أو قل الإبل السريعة والإبل البطيئة.

١٥- وَيُـزَجِّيهـا علـى إبْطَـائِهـا مُغْرَبُ اللَّونِ إذا اللَّونُ انْقَشَعْ

يُزَجِّيها: يسوقها.
مُغْرَب اللون: الصُّبح. وهو من مُغْرَب الخيل، وهو شدة البياض في الفرس.
وانقشع: ذَهَبَ.
والمعنى الإجمالي كما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ الليل - على تطاوله وحركة كواكبه البطيئة - لا بُدَّ وأن يَعْقُبَه الإصباحُ.

١٦- فَدَعَاني حُبُّ سَلْمَى بَعْدَمَا ذَهَـبَ الجِـدَّةُ مِنِّـي والـرَّيَـعْ

ويروى: فَدَعَاني وُدُّ سَلْمى.
الرَّيْع: أوَّلُ الشَّباب ولكنَّه حَرَّكَهُ ضَرُورَةً.
وَرَيْعَانُ كُلِّ شيء: أَوَّلُه. يقال: هذا رَيْعَانُ الخيل، وَرَيْعَانُ الجراد أَوَّلُها. والرَّيعان: الفَضْلُ. يقال: لهذا على هذا رَيْعَانٌ. أي: فَضْلٌ. وفَضْلُ كُلِّ شيء: رَيْعُهُ.

والبيت - كما يراه كاتب هذا التذوق - يُبَيِّن خُفُوتَ «صَوت

الحُبِّ» إنْ جاز التعبير - كما سبق وَنُوِّه به مُبتدأ هذه القصيدة. فَحُبُّ سلمى هو الذي دعاه، والشَّباب قد فارقه وولَّى. فليس ثَمَّة إلا الحُبُّ «الحركي» من أجل الشِّعر ومَحَطَّات عمود القصيدة العربية.

١٧- خَبَّلَتْنِـي ثُـمَّ لمَّـا تُشْفِنِـي   فَفُـؤَادِي كُـلَّ أَوْبٍ مـا اجْتَمَـعْ

ويروى: خَبَلَتْنِي بالتخفيف: أي كأنَّها أَصابَتْني بِخَبْلٍ من حُبِّها. والخَبْلُ: فَساد الجَسَدِ والعقل.

ويروى: «حَبَلَتْني»: أي كأني صِرْتُ في حِبَالَةِ صائِدٍ.

كُلَّ أَوْبٍ: كُلَّ وَجْهٍ، أو كل جهة.

ما ٱجتمع: متفرق، لم يَجْتَمِعْ. إنَّما يريد هَوَاهُ وَتَفَرُّقَهُ.

والمعنى الإجمالي - كما يراه كاتب هذا التذوق - هو أنَّها أوقعتني في حُبِّها وَتَبَلْتِني فلم تَصِلْنِي، ففؤادي مُنْشَعِبٌ مَصدوعٌ مُنْقَسِمٌ على ذَاتِه، مُوَزَّع الخاطر، مُبلبل البال.

والبيت يقع في موازاةٍ لبيتِ كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه:

بانَتْ سُعَادُ فَقلبي اليومَ مَتبُولُ   مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكبُولُ[1]

١٨- وَدَعَتْنِـي بِـرُقَـاهـا إنَّهـا   تُنْـزِلُ الأَعْصَـمَ مِـنْ رَأْسِ اليَفَـعْ

الأعصم: الوعل الذي في يديه بياض.

اليَفَع: المُرْتَفَع، وكذلك اليَفاع. ويقال: مَكَانٌ يافعٌ وَيَفَاع أي:

---

(١) في التذوق الجمالي لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد» في مدح الرسول ﷺ ص١٠.

مُشْرِف.

والرُّقى: جمع رُقْيَة[1]، وهي (نوع من التعاويذ وفَكِّ السِّحر)[2].

والإشارة ههنا - كما يراها كاتب هذا التذوق - إلى سِحْر حَدِيثها ومَبْسَمِها ورشاقتها على نَفْسِهِ كأنَّ رُقَاها تنجح حَتى في إنزال الأَعْصَم مِنْ على رَأسِ الجبل. وهو «حُبٌّ» أقرب إلى المثال والتَخَيُّل والتجريد منه إلى انفعالات الواقع وإحساساته. إنَّ البيت ههنا وكأنَّه صادر من فم حكيم فيلسوف وليس من عاشق تَبَلَهُ الحُبُّ، وَأَسْقَمَه الغَرام.

١٩- تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قَولاً حَسَناً لـو أَرَادُوا غَيْـرَهُ لـم يُسْتَمَـعْ

ويروى: «مِثْلَهُ» بدل «غَيْرَه». ويروى: لم يُسْتَطَعْ.

المعنى: لو ٱلتمسوا منها سوى الحديث لم ينالوه، يَصِفُ عِفَّتَها.

الحُدَّاث: الذين يُحَدِّثونها وتُحَدِّثُهم.

ويُضيف هذا البيت - فيما يراه كاتب هذا التذوق - إلى ما سبق وقَرَّرهُ من أنَّ هذا الحُبَّ فَنِّيٌّ فقط وليس له على أرض الواقع من إنفاذ. أتُّراه لو كان عاشقاً على الحقيقة يورد حبيبته في مورد من يسمعُ حَديثَها غَيرُهُ، وحتى ولو كانوا أقرب الناس إليه، وحتى ولو كانت في وَسَطِ عائلي. ثم افتراضه التَّخَيُّلي «لو أرادوا»؛ و«لو» تفيد امتناع الامتناع، امتناع الجواب لامتناع الشَّرط. إنَّ كُلَّ ذلك لَيعيقُ السِّياق، ويُطيل في «برنامج المسلسل» وَيَمُطُّ في «حَلْقَاته». وهو

---

(١) مختار الصحاح: رقى.

(٢) القولي لي.

«مناورات» كلامية، وافتراضات تَمَحُّلِيَّة على حساب المضمون والجوهر. ولو كان ثَمَّةَ غرامٌ وهيام لرأيتَ اندفاعَ الشعر كاندفاع السَّيل يكاد يَجْرُف السَّامع والقارىء، ولرأيت الفِكرَ ألواناً وأصواتاً تنثال انثيالاً. أَمَا وأَنَّ القصيدة بحاجة إلى مقدمة غَزَلِيَة؛ فهذه ثمة المُقَدِّمة؛ وكفى اللهُ المؤمنين القتال.

وإذا كانت حرارة العشق تكاد تكون فاترة في هذه الأبيات، فليس ذلك بقادح في جمالها الفَنِّي واللغوي، وَحُسْن معمارها، وأفانين سمتها وٱستوائها، وكونها قصيدةً رَائِعَةً مُتماسكةً.

٢٠- كم قَطَعْنَا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهاً نَـازِحَ الغَـوْرِ إذا الآلُ لَمَـعْ

المَهْمَه: القَفْرُ، وجمعه: مَهَامِه. وقيل: المَهْمه: المُستوي القَفْر.
ويُروى: «كم جَسَرْنَا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهاً».
أي: قطعناه، فجعل قَطْعَهُ إيَّاهُ بمنزلة الجُسُور.
ويُروى: «كم جَشِمْنا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهاً نَازحَ الغُولِ».

النَّازِح: البعيد. يقال: نَزَحَتِ البئرُ: إذا غَارَ ماؤُها وَبَعُدَ.
والغَوْر: مُعْظَم البُعْد (أي: العُمق).
والغُول: ما ٱغتاله فذهب به. ويقال: إنَّ الغَضَبَ غُولُ الحِلْم.
أي: يغتاله ويَذْهَبُ به.

الآل: السَّراب، أو ما يكون مثله في العين عند وجود كثافات مختلفة من أشعة، وطبقات رملية، واختلاف في الضَّغط الجوي.

وما يراه كاتب هذا التذوق أَنَّ المَهْمَهَ قد يكون مستوياً وقد يكون

غير ذلك، بدليل قول الشنفرى في لامِيَّته:

وَخَرْقٍ كظهر التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُه   بعاملتين ظهره ليس يعمل(1)

والدَّلالة الهامشية لهذا الاستواء توحي بأنَّ المَهْمَه يكون مستوياً بالنسبة إلى نَفْسِهِ إن جاز التعبير، وتُوحي بأنَّ المهمه قد لا يكون مستوياً بالنسبة إلى ما جاوره من كُثْبان رملية، وأماكنَ صَوَّانِيَّة، وَحَرَّاتٍ بُرْكانية. وههُنا يمكن وَصْفُهُ: «نازح الغوْرِ»، أي لا بُدَّ للرُّكبان والمُشاة من أن يهبطوا خمس عَتَبات أو أكثر إذا يَمَّموا هذا المهمه من بلاد وعرة وأماكن عالية. وهذا في رأي كاتبِ هذا التذوق - ما تعنيه لفظتا «نازِح الغَوْرِ». وهذا بطبيعة الحال ينفي رواية «الغُول» وهو ما يغتال الإنسان في هذا السِّياق. أضف إلى ذلك أنَّ لفظة «خَرْق» في بيت الشنفرى هي في الموازاة مع «الغَوْر» من حيث المضمون والدلالة الهامشية.

وإذا كان الآلُ لمع في العُيُون فذلك يُضِيفُ إلى صعوبة السير في وقت اشتداد الحر، وضبابية الرؤية الناشئة من انكسارات أشعة الشمس وارتدادها عبر كثافات الهواء السَّاخنة. وإذا كان الآل يلمع في العيون، وكانت الإبل تمشي في المنخفضات الأكثر حَرّاً، والأبعد عن الظِلِّ، والتَّظليل، وهي المستوية المُقفرة من العشب والشجر والنَّبات

---

(1) محمد علي أبو حمدة: **في التذوق الجمالي للاميَّة العرب للشنفرى ط2** (مكتبة الأقصى - عمان ١٩٨٢م) ص٧٨-٧٩.

الخرق: الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وجمعه خروق. العاملتان: رِجْلاه.

والماء، فذلك يضيفُ إلى مكابدة الأهوال، ورُكوب الصَّعْبِ من الأحوال.

٢١- في حَرُورٍ يُنْضَجُ اللَّحْمُ بها   يَأْخُذُ السَّائِرَ فيها كالصَّقَعْ

ويروى: يُطْبَخُ اللحم بها.

الحَرُور: ريح حَارَّة تكون بالنَّهار. والسَّمُوم: ريح حَارَّة تكون بالليل والنهار جميعاً. يقال: قد سُمَّ يومُنا وليلتُنا.

وقيل: الحرور أكثر ما تكون بالليل، وقد تكون بالنهار.

والصَّقَع: حرارة تصيب الرَّأس. وأصل الصَّقْع: الضَّرب على الشيء اليابس. يقال: صَقَعْتُهُ صَقْعَاً.

وما يراه كاتب هذا التذوق:

الحَرورُ يُنْضَجُ اللحمُ بها: كناية عن ارتفاع درجة الحرارة ارتفاعاً لا يُطاق. وهي طريقة في مقياس درجة الحرارة قبل اختراع المقاييس الحديثة.

وهي درجةُ حرارةٍ أَحْسَنَ التعبيرَ عنها الشنفرى في لاميته:

ويومٍ من الشِّعرى يَذُوبُ لُوَابُهُ   أفاعيه في رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ[١]

وأحسنَ التعبير عنها كعب بن زهير في قصيدته «بانت سعاد»:

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى ص٧٦.
وسيأتي شرح مفردات البيت في التعليق على البيت ٢٤ من قصيدة سُوَيد.

وقــال للقــوم حــاديهــم وقــد جعلــت

وُرْقُ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُوا[1]

وَأَخْذُ السَّائِرِ فيها كالصَّقَع من أثر درجة الحرارة حيث يُحِسُّ المَرْءُ وكأنَّ الطبقةَ العليا من دماغه قد توقفت عن العمل.

٢٢- وَتَخَطَّيْتُ إليها من عُدى بِـزِمَـاعِ الأَمْـرِ والهَـمِّ الكَنِـعْ

ويروى: الهم الكُتَع.

العُدى: الأعداء يقال: قوم عِدىً وَعُدَاةٌ.

وَزِماع الأمر: الجِدُّ فيه من قولك: أَزْمَعْتُ على الأَمْرِ: إذا أَجْمَعْتَ.

والكَنَع: التفاوت. والكَنِع: اللازم الذي لا يُفَارِق. وهو ما أراد.

والكُتَع: الذَّاهب الماضي.

وكاتب هذا التذوق يرى البيت في موازاةٍ مع بيت امرىء القيس من مُعَلَّقته:

تَجَاوَزْتُ أحراساً إليها ومَعْشَراً عَلَيَّ حِرَاصاً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي[2]

تَخَطَّيتُ:	في موازاة مع:	تجاوزتُ.
إليها:	في موازاة مع:	إليها.
عِدىً:	في موازاة مع:	«أحراساً ومعشراً».

(١) في التذوق الجمالي لقصيدة «بانت سعاد» ص٣٧.

(٢) محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لمعلقة امرىء القيس ط١ (مكتبة الأقصى. عمان ١٩٨٨م) ص١٠.

زماع الأمر: في موازاة مع: «عَلَيَّ حِرَاصاً».
الهم الكَنع: في موازاة مع: يُسِرُّون مَقتلي.

ويكون «الهَمُّ الكَنعُ» هو «إسرار مقتله» لو قدروا على ذلك ووجدوا إليه سبيلاً؛ فمن ثَمّ يبقى همُّ الشعور بالتقصير يلازمهم ولا يفارقهم.

وعليه يكون «بزماع الأمر والهم الكَنع» مرتبطاً بالعِدَى وليس معمولاً لِـ«تَخَطَّيتُ». ويكون ثمة التقدير: «من عِدَى مأخوذين بزماع الأمر والهم الكنع». أي: يران عليهم الحِرصُ على مقتله، ويركبهم هَمٌّ ملازم لا يبرحهم.

ويلاحَظُ أن تفسير الشِّعر بالشعر هو الأقرب طريقاً إلى الفهم، وإدراك المقاصد، والوقوف على الحيثيات. ولو بقي الأمر عند مجرد عبور الألفاظ لغةً ودلالاتٍ ما كان يكون للبيت من معنى - على الأقل - كما يلوح من شرح أبي محمد الأنباري.

٢٣- وَفَـلَاةٍ وَاضِـحٍ أَقْـرَابُهَـا بَـالِيَـاتٍ مِثْـلَ مُـرْفَـتِّ القَـزَعْ

ويروى: «مثل مُرْفَتِّ القَرَع».
ويروى: «بالياتٌ مِثْلُ» بالرَّفع.

الواضح: النَيِّرُ البَيِّن. وقيل: واضح أقرابها: بِيض. يعني ليس فيهن نَبْتٌ.

الأقراب: الخواصر. وهي ههُنا تشبيه. أراد جوانبها وأطرافها التي هي بمنزلة الخواصر من النَّاس.

الرُّفَات: ما ارفَتَّ أي تَكَسَّر وَتَحَطَّم. ومُرْفَت: متفرق.

القَزع: جمع قزْعة وهي بقايا تبقى من الشَّعَر. والقَزَع: قِطع الغَيم.
والقرَع: شبيه بالحَزاز يكون في الرأس يُسْقِطُ الشَّعَر.
والفَلاَة: المَفازة. والجمع: الفَلاَ والفلوات[١].

وكاتب هذا التذوق يختار رواية «مُرْفَتّ القَرَع» بالرَّاء غير مُعْجمة وينكر الزاي كما أنكرها أبو جعفر (أحمد بن عُبيد بن ناصح)[٢][٣]. ذلك أنَّ الشاعر سُويداً يريد وصف الفلاة بأنَّها قفراء من الشجر والنَّبت وذلك أصعبُ على الرُّكبان الذين لا يستظلون بظل شجرة، وأصعبُ على الركائب التي لا تجد ما تقتات به. زد على ذلك أنَّ الشاعر يريد أن يضيف أنَّ الفلاة هذه ليست من الطرق الممهدة المُعَبَّدة التي تجعل من السفر والانتقال أمراً عادياً مقبولاً، ولكنَّها حَرَّةٌ بركانية ويبدو أنها كبريتية التركيب بدليل تشبيه لونها وتركيبها بمُرْفَتِّ القَرَع وهو جُدَرِي الفِصال[٤] من حيث تهاوي تربتها، واصفرار لونها، وتناثُرِها في اليد.

ولنا في بيتي الشنفرى من لاميته خيرُ مُؤْنسٍ على طريق هذا الاهتداء. يقول الشنفرى:

---

(١) مختار الصِّحاح: **فلا**.
(٢) المفضليات ص٣٨٩.
(٣) حَدَّث عن الواقدي والأصمعي. انظر: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ): **طبقات النحويين واللغويين**. ت. محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ (دار المعارف بمصر ١٩٨٤م) ص٢٠٤.
(٤) الفِصال جمع فَصيل وهو وَلَدُ النَّاقة إذا فُصِلَ عن أُمِّه.
مختار الصحاح: **فصل**.

وَخَرْقٍ كظهر التُّرس قفر قَطَعْتُهُ بعاملتين ظَهْرُهُ ليس يُعْمَلُ
وألحقتُ أولاه بأخراه مُوفِياً على قُنَّةٍ أقعي مِراراً وَأَمْثِلُ[1]

فالفلاة هي الخَرْق.

وَاضِح أقرابُها: كظهر التُّرس قفر.

بالياتٍ مثل مُرْفَتِّ القرع: ظهره ليس يُعمل: أي لم تُعْمِل فيه الرَّكائب من قَبْلُ. أقرابها: أولاه بأُخراه، وهو قطع جانبيها.

وعليه يكون المعنى: وَرُبَّ فَلاةٍ واضحة جوانبُها للعيان إذ هي من الاستواء كأنها ظهر التُّرس، وهي قفراء من الشجر والنبت فليس يقف في طريق النظر من بعيد شيء. وهذه الجوانب تتفتت من بعضها كأنها الأسمالُ الباليات، أو كأنها الجُدَري الذي يُصيب صغار الإبل. فهي بركانية كبريتية، لم تكن مُمَهَّدَةً من قَبْلُ، وليست بذات راحة لأقدام الإبل، وليس فيها من شجر أو نبت فيجعلها مكاناً ملائماً للقيلولة أو للاستراحة أو للتزود فيها بماء أو طَبخٍ أو عافية.

٢٤- يَسْبَحُ الآلُ على أَعْلاَمِها وعلى البِيدِ إذا اليَوْمُ مَتَعْ

الآلُ يكون عند ارتفاع النَّهار؛ فإذا كان عند الزَّوال وبعده فهو السَّراب.

ومُتوعُ اليوم: ارتفاع النَّهار. ومَتَع: ارتفعت شَمْسُه.

البِيد: جمع بَيْداء وهي القَفْر. وقيل: هي الأرض المستوية الصُّلْبة.

الأعلام: جمع عَلَم وهو الجَبَل.

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى ص١٠-١١.

وللخنساء تصف أخاها صِخراً:

«كأنَّه عَلَمٌ في رَأسِه نَارُ»

وهذا الآل الذي رآه الشاعر ههنا - هو في رأي كاتب هذا التذوق - اللُّواب الذي رآه الشنفرى في لاميته:

ويومٍ من الشِّعرى يَذُوبُ لُوَابُه   أفاعيه في رمضائه تَتَمَلْمَلُ[1]

٢٥- فَرِكْبَناها على مَجْهُولِها   بِصِلابِ الأَرْضِ فيهنَّ شَجَعْ

ويروى: «ما فيها شَكَعْ» أي: ضَجَر. يقال: شَكِعَ المريض: إذا اشتد عليه المَرَضُ فَضَجِر.

ركبناها على مجهولها: تَعْسَّفناها، أي: سِرْنا فيها على غير قَصْدٍ.

الأرض ههنا: القوائم. قال الأصمعي: عنى الخيل. وأرضها: حوافرها.

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب ص٧٦-٧٧.
الشِّعرى: الكوكب الذي يَطْلُع بعد الجوزاء، وطلوعه في شِدَّة الحر.
وذاب الشيء: نقيض جمد.
لوابه: لعابه. ولوابه هنا ما تراه من شِدَّة الحر مثل نسيج العنكبوت.
الأفاعي: جمع أفعى وهي الحَيّة.
الرَّمضاء: الأرض أصابها الرَّمض. والرَّمض شِدَّة وقع الشمس على الرَّمل وغيره.
التململ: التحرك على الفراش إذا لم تستقر عليه كأنَّه على مَلَّة. والملَّة: الرَّماد الحار.

وقيل: عنى هٰهنا خيلاً. يقال للفَرَس والبعير إذا كان صُلْبَ الحافِر والخُفِّ، شديد القوائم: إنَّه لَصُلْبُ الأرض.

شَجَع: جُنُونٌ من النَّشَاط.

والمعنى الإجمالي كما يلخصه كاتبُ هذا التذوق:

ٱعتسفت بنا الخيلُ الطريقَ ذات المجاهيل ونحن لم نكن نُبَالي ما يكون من أمرنا في سبيل الوصول إلى هَدَفِنا ومَقْصَدِنا.

والوصف العام لهمَّة الرَّكوبة في مثل هذه الأحوال كان قد طَرَقه كعب بن زهير - رَضي الله عنه - في قصيدته:

تَـرْمِـي الغُيُـوبَ بعينـي مُفْـرَدٍ لَهِـقٍ
إذا تَـوَقَّـدت الحُـزَّانُ والمِيـلُ[1]

فهذه النَّاقة شديدة الحذر، حديدةُ البَصَر، جَسْرَةٌ قوية.

وفي بيت آخر:

من كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ
عـرْضَتُهـا طَـامِـس الأعـلامِ مَجْهُـولُ[2]

---

(١) في التذوق الجمالي لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد» ص٢٤. والمعنى: ترمي بنظرها هذه الناقةُ أماكنَ السير المطمئنة نظر الثور الوحشي شديد البياض الذي قد أفرد عن صواحبه وذلك عند اشتداد أشعة الشمس على ما غَلُظَ من الأرض وعلى عقد الرَّمل الضَّخمة.

(٢) ذاته ص٢٤.

أي لن يُبَلِّغ أرض «سعاد» إلاَّ مِثْلُ ناقة فَوَّارة رائحة العرق ممَّن هَمُّها المسالك الدّراسة العلامات والمجهول.

والأعلام: جمع عَلَم وهو الجبل.

وذِكْرُ الأعلام والمجهول في موازاة مع ذِكْر الأعلام في البيت ٢٤ من قصيدة «سويد»؛ والمجهول في البيت ٢٥ من قصيدة «سويد» بما لا يخفى.

إنَّ التضاريس الجغرافية لكلا الشاعرين تكاد تكون ذاتها في القصيدتين.

٢٦- كالمَغَالِي عَارِفَاتٍ للسُّرَى مُسْنَفَاتٍ لم تُوَشَّمْ بالنِّسَعْ

ويروى: «مُسْنِفَات» بكسر النُّون. أي مُتَقَدِّمات.

المَغَالي: السِّهام التي يُغَلَى بها، أي: يُبَاعَدُ بها في الرَّمي.

وهي خِفاف. شَبَّه الخيل بها في دِقَّتها وَسُرْعَتها. جمع مِغْلاة.

ويروى: «تُوَسَّم» بالسِّين.

العَارِفات: الصَّبورات على السَّير. يقال: بعير عَارِفٌ، وَفَرَسٌ عَارِفٌ، وَرَجَلٌ عارف إذا كان مُعْتَرِفاً على عمله، صَابراً عليه.

السُّرى: سير الليل.

مُسْنَفات: شُدَّ عليها السِّناف: خيط يُشَدُّ إلى الحِزام مخافة أن يضطرب السَّرْج على الفَرَسْ.

النِّسَع: جمع نِسْعَة: أي ليست بإبل تُشَدُّ بالنِّسَع فَتَدْبَرَ فيبقى أَثَرُ الدَّبِرِ فيها كالوَشْمِ.

والنِّسعة: الحَبْل.

والشعراء إنما تقطع المَهَامِه في أشعارها بالإبل فقال هذا بالخيل.

والمعنى الإجمالي كما يراه كاتب هذا التذوق: هذه الأفراس كأنهن السِّهام الطائرة، مُوَطِّنة الأنفس على السير في الليل وقطع المهامه، لها ما للخيل من سُرُوج مُتْقَنةِ الصُّنْع لا ما للإبل من حِبالٍ «مائلاتٍ مُميلات» تَدَعُ ظهر الناقة مُدْبَراً.

٢٧- فَتَــرَاهــا عُصُفَــاً مُنْعَلَــةً ‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌   بِنِعَــالِ القيــنِ يَكْفِيهــا الــوَقَــعْ

ويروى: تَجديد القَين.

العُصُف: الشديدة المرِّ. يقال: عَصَفَتْ في سَيْرِها عَصْفاً وَعُصُوفاً: إذا ٱشتَدَّ سَيرُها. وهو مِن عُصُوفِ الرِّيح. وواحد العُصُف: العَصُوف.

والوَقَع: التَأَذِّي بالحجارة يقال: وَقِعَ يَوْقَعُ وَقَعاً.

وقال أبو عُبيدة[١]: الوَقَعة: الصَّخرة، والجمع: وَقَع.

والقَين: الحَدَّاد وجمعه: قُيُون[٢].

والمعنى الإجمالي: فترى الخيل تَشْتَدُّ في سيرها وهي مُنْعَلة بِحَذْوات (جمع حَذْوَة) البَيطار الحديدية التي تصونها من حَوَافِّ الحجارة المُسْتَدِقَّة.

٢٨- يَدَّرِعْنَ اللَّيْلَ يَهْوِينَ بِنَا   كَهُــوِيِّ الكُــدْرِ صَبَّحْــنَ الشَّــرَعْ

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنَّى التَّيمي، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها. بَصْري. توفي سنة ٢١٠هـ.
طبقات النحويين واللغويين ص١٧٥-١٧٨.

(٢) مختار الصحاح: قين.

ويروى: «يَرْدِينَ بِنَا».
يَدَّرعن الليل: يَدْخُلْنَ فيه كما تُلْبَسُ الدِّرْعُ.
يَهْوِين بنا: يُسْرِعْنَ.
الكُدْر: القَطَا الكُدْرِيُّ وهو الذي في لونه غُثْرَةٌ. والغُثْرَة: الغُبْرَةُ.
صَبَّحْنَ: وَافَيْنَ في الصُّبْح.
الشَّرَع: الماء والشُّرْبُ جميعاً. والشَّرَع: الشَّريعة. يقال: قد شَرَعَ يَشْرَعُ شَرْعاً.

وقال الأصمعي[1]: الشَّرَع: الماء الذي يُشْرَعُ فيه.

كَهُوِيٍّ: كَمَرٍّ. يقال: هَوَى يَهْوِي هُوِيَّاً إذا مَرَّ مَرَّاً سَرِيعاً.
يَرْدِين بنا: يقال: رَدَى الفَرَسُ يَرْدِي رَدْيَاً وَرَدَيَاناً وهو أن يضرب بِحَوَافِرِه. وهو نَوْعٌ من العَدْوِ وهو الجَرْي.

والمعنى الإجمالي: ظَلَّت هذه الخيول تشتد في سيرها، وجَنَّ عليها الليل، وكانت تَهوي بِنَا كَهُوِّي القَطا الكُدري توافدت على الماء؛ والدلالة الهامشية للفظة «تهوي» تُوحي بأنَّ المنطقة كانت جَبلية ومنحدرة باتجاه المقصد. وهو أمر قد نَوَّه به الشاعر في بيته (٢٤):

«يسبح الآل على أعلامها».
والأعلام: هي الجبال.

وَهُوِيُّ القطا الكُدْري يبين بوضوح أكثر في بيتي الشنفرى من

---

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قُريب الباهلي. لغوي بصري. كان يجالس الخليفة الرشيد طبقات النحويين واللغويين ص١٦٧-١٧٤.

لامِيَّته:

وتَشْرَبُ أسْآري القَطا الكُدْرُ بَعدَمَا سَرَتْ قَرَبَاً أَحْنَاؤُها تتَصَلْصَلُ
هَمَمْتُ وَهَمَّت وَٱبتدرنا وَأَسْدَلَتْ وَشمَّـر مِنِّـي فَـارِطٌ مُتَمَهِّـلُ[1]

فهذه أسراب القطا الكُدْرُ سَرَت في منتصف الليل مُسرعة في طريقها إلى الشرب؛ وها هي أسراب القطا أرخت أجنحتها للهبوط في أرض الماء كما تُرْخي الطائرة من سرعتها عندما تَحُطُّ في المطار. هذا «الإسدال» هو الذي كان في ذهن «سُوَيد» حين قال:

كَهُوِيِّ الكُدْرِ صَبَّحْنَ الشَّرَعْ

٢٩- فَتَنَاوَلْـنَ غِشَـاشَـاً مَنْهَـلاً ثـم وَجَّهـنَ لأرض تُنْتَجَـعْ

تناولن: شربن قليلاً.

والمنهل: الماء. ويقال إنَّه سُمِّيَ مَنْهَلاً لأنَّه يُروي النَّاهل.

والنَّاهل: العطشان.

غِشَاشاً: عَجِلاتٍ. يقال: فَعَلْتُ ذلك على غِشَاشٍ: أي على عَجَلَةٍ.

وَجَّهن: تَوَجَّهن.

---

(١) في التذوق الجمالي للامية الشنفرى ص٥٦-٥٧.
الأسآر: جمع سؤر وهو بقية الماء في الإناء.
القَرَب: سَيْرُ الليل لورود النهار.
ابتدرنا: أسرعنا.
فارِط: السَّابق إلى الماء.

انتجع فلاناً: أتاه يَطْلُبُ معروفه. والنُّجْعَةُ (بوزن الرُّقْعُة): طلب الكلأ في مَوْضِعِهِ.

والمعنى الإجمالي: أنَّ هذه الخيلَ أدركت الماء في طريقها فتناولت منه شيئاً قليلاً - وذلك لأنَّ الكثير يَضُرُّ بها مع التَّعب والجهد - ثم يَمَّمَت شطر مملكة بني بكر تطلبُ النُّجْعَة - لها على الحقيقة، أو لأصحابها على المجاز -.

وهذا البيت في موازاة مع بيت الشنفرى يصف القَطا الكُدْرَ:

فَعَبَّتْ غِشَاشَاً ثمَّ مَرَّت كَأَنَّها مع الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَة مُجْفِلُ[1]

ولقائل أن يقول: فلعلَّ الشاعرَ «سُوَيداً» أَراد وصف القطا الكدر وأنَّها التي وَجَّهت لأرض تُنْتَجع.

وفي الإجابة عن ذلك أقول: سياق القصيدة يَدُلُّ على أَنَّ الخيلَ وفرسانها هم الذين يقصدون هذه المملكة لأَنَّ الحديث في الأبيات التي تلي هي «بُسُط الأيدي إذا ما سُئلوا». والسَّائلون حتماً هم الناس لا الطيور.

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى ص٦٠.
عَبَّت: شربت من غير مَصٍّ.
غِشَاشاً: على عَجَلة.
رَكب: مسافرون.
أحاظة: قبيلة من اليمن.
مُجفل: مُسْرِع.

ثم إنَّ قول الشاعر «سويد» «تناولن» يجعل أمر الشُّرب من عَلٍ وهو ما يَصْدُق على الخيل ولا يصدق على الطَّيِّر التي هي أقرب إلى العَبِّ منها إلى التناول.

٣٠- مِنْ بَنِي بَكْرٍ بها مَمْلَكَةٌ   مَنْظَرٌ فيهم وفيهم مُسْتَمَعْ

ويروى: «فيها».

ويروى: «لبني بَكْرٍ فيها مَمْلَكَةٌ».

منظر فيهم: أي حيث يَرَوْنَ.

مُسْتَمَع: يسمعون ما يشتهون.

والمعنى الإجمالي: هم مِلء البَصَرِ والسَّمْعِ.

٣١- بُسُطُ الأَيْدِي إذا ما سُئِلُوا   نُفُعُ النَّائِلِ إِنْ شَيءٌ نَفَعْ

ويروى: «سَبِطُو الأيدي... نَفَعُو النَّائِلِ...».

قال أبو عُبيدة: إنْ شيء نَفَع: معنى شيء: أَحَدٌ. واْحْتَجَّ بقول الله عز وجل: ﴿وإن فَاتَكُمْ شَيءٌ من أزواجكم إلى الكُفَّار﴾ [الممتحنة: ١١].

وفي قراءة ابن مسعود[1]: ﴿وإنْ فَاتَكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَزْوَاجِكُم﴾.

---

(١) عبد الله بن مسعود: صحابي جليل. كان سادساً في الإسلام. وهاجر إلى الحبشة الهجرتين. وشهد بدراً والمشاهد كُلَّها. وُلِّيَ قضاء الكوفة وبيت المال لعمر رضي الله عنه وصدراً من خلافة عثمان رضي الله عنه، ثم صار إلى المدينة المنورة فمات بها سنة ٣٢هـ، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين سنة.

محمد علي أبو حمدة: **في العبور الحضاري للمكتبة العربية الإسلامية** ط١ =

والسَّبْط والسَّبِط: السَّهل. يقول: ليسوا بِكَزِّ اليَد.
وسَبِط: طُوَالٌ بالعطاء وإنْ قَصُرَتْ خِلْقَتُها[1].
النَّائل: طالب العَطاء.

وبُسُطُ الأيدي يُنْظَرُ فيها إلى قوله تعالى: ﴿بل يداه مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كيف يَشاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].
وبُسُطُ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم. ومثلها: نُفُعُ.

ويلاحظ تقديم «بُسُط الأيدي» على السُّؤال تنويهاً بِخِصْلَةِ الكَرَم والجُود. وتقديم «نفع النَّائِل» على الحديث عن النَّفَع.

وكاتب هذا التذوق يرى لفظة «شيء» ههُنا تَعْمِيَةً يُرَادُ بها الحديث عن النَّفْعِ، وطرائقه، ووجوهه المختلفة. فهي تنكيرٌ أوضحُ من التعريف إنْ جاز التعبير. إنَّها طريقة فَنِّية في إثارة المسألة وترك أمر الخوض في تفصيلاتها من شأن السَّامع وَالقارىء.

٣٢- مِنْ أُنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلاَقِهِمْ　　عَاجِلُ الفُحْشِ ولا سُوْءُ الجَزَعْ

لم يُرِد أَنَّهم لا يَعْجَلُونَ بالفُحْشِ كما يَعْجَلُ غيرُهم إنَّما أراد أَنَّهم لا فُحْشَ عندهم البَتَّةَ، ولا يَجْزَعُونَ لِمُصِيبة.

الجَزَع: فُقْدانُ الصَّبر.

ويلاحظ تقديم خبر ليس «من أخلاقهم» على اسمها؛ وذلك لتسليط

= (دار البشير - عمان ١٩٩٠م) ص٣٧-٣٨.

(١) المفضليات ص٣٩٢.

الإضاءة على «الأخلاق» أوّلاً ثم الحديث بعد ذلك عن الفُحْشِ.

وعاجل الفُحْش - فيما يراه كاتب هذا التذوق - هو الخروج عن الوقار بالسُّباب والشَّتائم. وهو يقابل وصف الشنفرى:

ولا تَزْدَهِي الأَجْهالُ حِلْمي[1]

٣٣- عُرُفٌ للحَقِّ ما نَعْيَا بِهِ عِنْدَ مُرِّ الأَمْرِ ما فِينا خَرَعْ

ويروى: «عُرُفٌ للخير».

ويروى: «ما فينا هَلَع».

ويروى: «عند مُرِّ الحَقِّ».

عُرُفٌ: من المعروف. أي نَصْبِرُ له إذا نَزَلَ بنا من حَمَالةٍ أو قِرَى ضيف.

والخَرَع: الضَّعف واللِّين. يقال: خَرِعَ الرَّجُلُ خَرَعاً: إذا لاَنَ في أمره، وتساقط من العَجْزِ. والخَرِيع من النِّساء: المُتَثَنِّيَة اللَّينة. ويقال: قد خَرِعَ الرَّجُلُ: إذا كَبرَ وَٱضْطَّرب.

الهَلَع: الخِفَّة والجَزَع. قال تعالى: ﴿إنَّ الإنسان خُلِقَ هلوعا﴾ [المعارج: ١٩].

والمعنى الإجمالي: إنَّنا نَعْرِف الحَقَّ وَنُقِرُّ به، وَنَصْبِرُ عليه، ما نَعْجِزُ عنه، وليس منا من يَضْعُفُ أو يتهالك.

---

(١) في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى ص٧١.
تزدهي: تستخف.
الأجهال: جمع جَهِل وهو كثير الجهل.

وهذهِ صفات سراة القوم حَقّاً وهي تقابل أخلاق الـGentleman في اللغة الإنجليزية. ولو كان عندنا أخلاق هؤلاء العرب - في جاهليتهم - ما كان لنا في كل حادث سَير استدعاءٌ للشُّرْطة، وتعويقٌ للمرور، وخروج عنِ الوقار، وتبادل الاتهامات. ولو كان عندنا أخلاق العرب وقد ظَلَّلهم الإسلامُ بِظلِّه، وأدَّبهم بأَدَبِه لكنا «ملائكةً» نمشي على الأرض مطمئنِّينَ، ولكانت نسبة حوادث السير، والشِّجار، ومخالفة القانون - أَقَلَّها بين مواطني دُول العالم.

٣٤- وإذا هَبَّت شَمَالاً أَطْعَمُوا   فـي قُـدُورٍ مُشْبَعَـاتٍ لـم تُجَـعْ

ويروى: «إذا هاجت شَمَالاً».

هَبَّت شَمَالاً: هَبَّت الرِّيح شَمَالاً[1].

المُشْبَعَات: المملوءات. ويقال: أجاع فلان قِدْرَهُ إذا لم يَجْعَلْ فيها لحماً كثيراً. وقيل: «لم تُجَعْ» مَثَلٌ أي: لم يُقَلَّل ما فيها.

٣٥- وَجِفَانٍ كالجَوابِي مُلِئَتْ   مِنْ سَمِينات الذُّرَى فيها تَرَعْ

الجوابي: الحياض الكِبار التي يُجْبَى فيها المَاءُ، الواحدة: جابية. والجِفان تُشَبَّهُ بالجوابي. قال الله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كالجَوَابِ﴾ [سَبَأ: ١٣].

والذُّرى: الأَسْنِمَة، أي ينحرون إبلا سِمَاناً. وذُرْوَةُ كُلِّ شيء

---

(١) والشَّمال: الرِّيح التي تهب من ناحية القُطْب. وغدير مَشْمُول: تضربه ريح الشَّمال حتى يبرد.
مختار الصحاح: شمل.

أعلاه.

والتَّرع: الامتلاء. يقال: أَتْرِعْ إناءَكَ: أي: اَمْلأْهُ.

٣٦- لا يَخَافُ الغَدْرَ مَنْ جَاوَرَهُمْ أبداً منهم ولا يَخْشَى الطَّبَعْ

الطَّبَع في الأصل: الصَّدأ الذي يَرْكَبُ السَّيف.

والطَّبَع ههنا: ما يُعَابُون به. والطَّبَع: تَلَطُّخُ العِرْض. يقال للرجل إذا دَنَّس عِرْضه: طَبَّعَهُ. وإنَّه لَطَمِعٌ طَبِعٌ.

ويقال: لا خير في طَمَع يُدْني إلى طَبَع.

٣٧- وَمَسَامِيحُ بما ضُنَّ به حَاسِرُو الأَنْفُسِ عن سُوءِ الطَّمَعْ

ويروى: «حَابِسُو الأنفس».

ويروى: «حُسُرُ الأَنْفُس».

ويروى: «حَاسِمُو الأَنْفُسِ».

السَّمح: الجَوَاد.

حَاسِرُو الأَنْفُسِ: كاشفوها. أي: مُبْعِدُوها من الطَّمع فيما يُعَابُونَ به.

وقيل: حَاسِرُوها: كَافُّوها.

والمعنى الإجمالي: يَجُودُونَ بما يَبْخَلُ به غَيرُهُم، وهم كَافُّو الأَنْفُسِ عن سُوءِ الطَّمَع.

والتقدير: هم مساميح، وهم حاسرو الأَنْفُس.

٣٨- حَسَنُو الأَوْجُهِ بِيضٌ سَادَةٌ وَمَرَاجِيحُ إذا جَدَّ الفَزَعْ

ويروى: «إذا جَدَّ الهَلَعْ».
جَدَّ: اشْتَدَّ. يقال: جَدَّ في الأَمْرِ، وَأَجَدَّ: إذا بَلَغَ فيه.
والهَلَعُ: الجَزَعُ والخِفَّة.
مَراجِيح: ثُبُتٌ لا يَسْتَخِفُّهم الجَزَعُ ليسوا بِجُبَنَاءَ.

وفي حُسْنِ الوجه والبياض يُنْظَرُ في ذلك إلى قول أبي طالب عم رَسُولِ الله ﷺ في رسول الله ﷺ:

وأبيضُ يُسْتَسقى الغَمَامُ بوجهه ثِمال اليَتَامى عِصْمَةٌ للأرَامِلِ[1]

٣٩- وُزُنُ الأَحْلام إنْ هُمْ وَازَنُوا صَادِقُو البَأْسِ إذا البَأْسُ نَصَعْ

ويروى: «وُزَّنُ الأحلام».
ويروى: «رُجَّحُ الأَحْلام إنْ هُم وُزِنُوا».
صُدُقُ البَأْسِ إذا البَأْسُ وَقَعْ
نَصَع: ظَهَرَ وَأَنَارَ.

والمعنى الإجمالي: أحلامُهم أَكثَرُ رَزَانةً من غيرهم، وهم يَصْدُقون

(١) انظر:
في التذوق الجمالي لقصيدة «بانت سعاد» ص٦٦.
عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**. ت محمد رشيد رضا ط٢ (مكتبة القاهرة. القاهرة ١٩٦١م) ص١٣.
أبو السعادات هبة الله علي بن حمزة (ابن الشجري) (ت ٥٤٢هـ): **الحماسة الشجرية**. ت. عبد المعين الملوحي (منشورات وزارة الثقافة. دمشق ١٩٧٠م) ١: ٦٤-٦٥.

في وقت الشِدَّة أي: صُبُرٌ عند اللِّقاءِ لِعَدُوِّهم.

التقدير: هم وُزُنُ الأحلام

هم صادقو البَأْسِ.

٤٠- وَلُيُوثٌ تُتَّقَى عُرَّتُهَا سَاكِنُو الرِّيحِ إذا طَارَ القَزَعْ

العُرَّة: الأذى.

القَزَع: الخِفَاف الذين لا رَكَانَةَ لهم.

شَبَّههم بِقَزَع السَّحاب؛ وكُلُّ خَفِيفٍ قَزَعٌ.

والتقدير: هم لُيوثٌ.

وَيُنْظَرُ في هذا البيت إلى بيتي كعب بن زهير - رضي الله عنه:

لَذَاكَ أَهْيَبُ عندي إذ أُكَلِّمُهُ
وقيل إنَّك مَنْبُورٌ ومَسْؤُولُ

مِنْ ضَيْغَمٍ من ضِرَاءِ الأُسْدِ مُخْدَرُهُ
ببَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ[1]

وفي هذا الرَّدُّ على بعض مُتَحَذْلِقي الثقافة «المعاصرة» من استغرابهم أمرَ تشبيهِ رسولِ الله ﷺ بالأسد في قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه.

٤١- فَبِهِمْ يُنْكَى عَدُوٌّ وَبِهِم يُرْأَبُ الشَّعْبُ إذا الشَّعْبُ انْصَدَعْ

ويروى: وبِهِمُ يُنْكَى عَدَوٌّ وبهم يُجْمَعُ الشَّعْبُ...

---

(١) في التذوق الجمالي لقصيدة بانت سعاد ص٦٣.

يقال: نَكَيْتُ في العَدُوِّ نِكَايَةً، ونَكَّيْتُ العَدُوَّ: إذا أَثَّرْتَ فيهم.
يُرْأَبُ: يُصْلَحُ، مِنْ رَأَبْتُ الشيء أَرْأَبُهُ رَأْبَاً.
ويُرْأَبُ: يُشْعَبُ وَيُرْتَقُ.
الشَّعْبُ ههُنا: التَفَرُّق. وهو من الأَضّداد. يكون التَفَرُّقَ ويكون الالتئامَ.

والمعنى الإجمالي: أنهم يجمعون بين البَأْسِ والعَقْلِ.

٤٢- عَادَةٌ كَانَتْ لهم مَعْلُومَةً   في قَدِيمِ الدَّهْرِ ليست بالبِدَعْ

رواها أبو عكرمة الضَبِّي (عامر بن عمران)[١] «عادَةٌ» رفعاً؛ والرواية بالنَّصْب.
أي: كانت هذه الأشياءُ التي وَصَفْتُها عادَةً لهم معلومَةً في آبائهم وأجدادِهم ولم يَبْتَدِعُوها هُمْ.
أي: قد توارثوا الأمجادَ كابراً عن كابر[٢].

٤٣- وإذا ما حُمِّلُوا لَمْ يَظْلَعُوا   وإذا حَمَّلْـتَ ذا الشِّـفِّ ظَلَـعْ

الظَّلْعُ في الإبل بمنزلة الغَمْزِ في الخيل. «وهو نوع من العَرَج»[٣].
وهو مَثَلٌ. يقول: إذا حُمِّلوا أمراً يَعْجِزُ عنه غيرُهم مِنْ حَمْلِ دِيَةٍ،

---

(١) تلميذ أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي.
ديوان المفضليات ص١.
(٢) مختار الصِّحاح: كبر. قولهم: توارثوا المجد كابراً عن كابِرٍ. أي: كبيراً عن كبير في العِزِّ والشَّرف.
(٣) الكلام لي.

أو قِرى ضيف، أو فَكِّ أسيرٍ ٱسْتَقَلُّوا به إذا عَجَزَ غَيْرُهُم عَنه.
والشِّف: الفَضْل.

قال أبو جعفر أحمد بن عُبيد بن ناصح: الرواية: «ذا الشَكِّ» وهو الذي تَشُكُّ فيه أَيَظْلَعُ أم لا.
وقيل: «ذا الشَكِّ» هو أن يكون في عَظْمِ سَاقِهِ صَدَعٌ يَظْلَعُ منه، وهو دون الظَّلْعِ.

وكاتب هذا التذوق يختار رواية «ذا الشَكِّ» فهي أقرب رُحْمَاً وأجرى مع قرينة وٱتِّساق.

٤٤- صَالِحو أكْفَائِهِمْ خُلاَّنُهُمْ وَسَـرَاةُ الأَصْـلِ والنَّـاسُ شِيَـعْ

الخُلاَّن جمع خليل؛ وهو الصَّديق.
وسراة كل شيء: أعلاه[1].
شِيَع: متفرقون[2].

والمعنى الإجمالي - كما يراه كاتبُ هذا التذوق -: أصدقاؤهم صالحون لِنُظَرَائِهِم - وهم بنو بكر الذين يتحدث عنهم الشاعر. وهم في الذِّروة العليا من حيث الأصول؛ والنَّاس ينتمون إلى فروع كثيرة متعدِّدة.

ووجه الصَّلاح هٰهنا هو الجليس الصَّالح؛ والنَّديم المُوَافِق،

---

(١) مختار الصحاح: سرو.
(٢) المعنى لي.

والمجالس الخالية من اللَّغو، والهَذَر، وفُحْش القول.

وينظر في ذلك إلى حديثِ رسولِ الله ﷺ: «إنَّما مَثَلُ الجَليسِ الصالح والجليس السُّوء كحاملِ المِسْكِ ونافخِ الكِير. فحاملُ المِسْكِ إمَّا أن يُحْذِيَك[1]، وإمَّا أن تبتاعَ منه، وإمَّا أن تجد منه ريحاً طَيِّبَةً. ونافخ الكِير، إمَّا أن يُحْرِقَ ثيابَك، وإمَّا أن تجد رِيحاً خبيثة[2].

٤٥- أَرَّقَ العَينَ خَيَالٌ لم يَدِعْ   مِـنْ سُلَيْمَـى فَفُـؤَادِيْ مُنْتَـزَعْ

يَدِعُ: يريد: يَتَّدِعُ، وَيَقِرُّ، ويَمْكُثُ. وَأَصْلُهُ من الدَّعَةِ والسُّكُونِ. وَرَجُلٌ وَادِع: إذا كان سَاكِناً.

منْتَزَع: كَأَنَّهُ أُنْتُزِعَ من موضعه من شِدَّة شوقِهِ، وَنُزُوعِهِ إليها.

والمعنى الإجمالي: سَهَّدَ العَينَ وَأَرَّقها خَيَالٌ زَائِرٌ من سُليمى، فَأُنتزع فؤادي من مكانه، وما زال هذا الفؤادُ أسِيرَ هَواها، مُكَبَّلاً في حُبِّها.

وهذا المعنى يُذَكِّر به بيتُ كعب بن زهير رضي الله عنه:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليومَ مَتبولُ   مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يَجْزَ مَكْبُولُ[3]

---

(١) يُحذيك: يعطيك.

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ): **صحيح مسلم**. ت. محمد فؤاد عبد الباقي ط٢ (دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٧٢م) رقم الحديث ٢٦٢٨ تحت «باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السّوء». ٤: ٢٠٢٦.

(٣) في التذوق الجمالي لقصيدة «بانت سعاد» ص١٧.   =

وَتَوَزُّع الحُبِّ ما بين «عَدَوِيَّة» و«سُليمى» يُعطي الانطباع أنَّ هذا الحُبَّ «مَحَطَّاتٌ شِعْرِيَّة»، وقواطعُ وَمَفَاصِلُ بين المُقَدِّماتِ والأَغْرَاضِ. وأنَّ الشَّاعِرَ «هِمَّتهُ» فوق السَّحاب، وَطُمُوحَاته تَجاوِرُ الجَوزاءَ.

٤٦- حَلَّ أَهْلِي حَيثُ لا أَطْلُبُهَا   جَانِبَ الحِصْنِ؛ وحَلَّتْ بِالفَرَعْ

ويروى: «جانب الحَضْرِ» وهي مدينة بالمَوْصِل.

والفَرَع: ما بين الكوفة والبَصْرَة.

أي فَرَّقت بيننا المَسافَاتُ والأبعادُ؛ وذلك لأنَّ أَهْلَهُ وأَهْلَها من البدو الرُّحَّل الذين يرتادون مواطن الكلأ والماء.

٤٧- لا أُلاَقِيها وَقَلْبِي عِنْدَها   غَيْرَ إِلْمَامٍ إذا الطَّرْفُ هَجَعْ

أي: لا أَراها إلاَّ في المَنام، أي: إلاَّ أن أَحْلُمَ بها فَأُلِمَّ بها.

والمعنى الإجمالي: أنَّ قلبي محتبسٌ عندها على البُعْدِ فيما بيننا، وإنْ كان ثَمَّة لُقْيَا معها فذلك هو الإلمامُ بخيالها في المنام إذا غَفَتِ العَينُ.

٤٨- كالتُّؤَامِيَّةِ إنْ بَاشَرْتَهَا   قَرَّتِ العَينُ، وَطَابَ المُضْطَجَعْ

التُّؤَام: موضع على البَحَرْ بِعُمَانَ يكون عنده الغوص: فأراد دُرَّةً نَسَبَها إلى ذلك الموضع.

بَاشَرْتَهَا: صِرْت معها في ثوب واحد.

= أي: قلبي غدا مُضْنى لفراق سعاد ورحيلها، ذليلَ حُبِّها مُحْتَبساً عندها من غير ما تَنْوِيلٍ.

المعنى الإجمالي: أنَّ هذه المحبوبة «سليمى» كالدُرَّةِ التُّؤَامية، من حيث الصَّفاء، والجَمَالُ، والجَلالُ.

٤٩- بَكَـرَتْ مُـزْمِعَـةً نِيَّتَهـا وَحَدَا الحَادِيْ بِها ثُمَّ أَنْدَفَعْ

ويروى: «حدا الحادي بهم».

أَزْمَعَ على الأمر وأجمع: إذا جَدَّ فيه.

نِيَّتُها: حيث تنوي. ويروى «نِيَّتُها» بالرَّفع، جعل الفعل للنِيَّة.

وحدا: ساق.

انْدفع: اندفع في السَّير.

والمعنى الإجمالي: سارت المَطِيُّ بِسُلَيمى في الصباح الباكر إلى الجهة التي أنتَوَتْها، وساق بها الحادي للركب، ثم اندفع في سيره كي يقطع أكبر مسافة قبل اشتداد حَرِّ الشمس.

وقد عَبَّر عن ذلك أجمل تعبير كعبُ بن زهير في قوله:

وما سُعَادُ غداةَ البَينِ إذْ رحلوا إلاَّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[1]

٥٠- وَكَـرِيـمٌ عِنْـدَهـا مُكْتَبَـلٌ غَلِـقٌ إِثْـرَ القَطِيـنِ المُتَّبَـعْ

ويروى: «وأَسِيرٌ عندها مُكْتبَلٌ» يريد أنَّ قَلْبَهُ معها.

ويروى: «ففؤادي عِنْدها مُكْتَبَلٌ».

ويروى: «وكريم عندها مُخْتبَلٌ غَلِقٌ عِند القطين المُتَّبَعْ».

ويروى: «مُخْتَبَلٌ» كَأنَّه وقع في حِبَالَةٍ.

---

(١) في التذوق الجمالي لقصيدة «بانت سعاد» ص١٠.

ويروى: «عَلِقٌ إِثْرَ القَطِينِ»: أي كَأَنَّهُ عَلِقَ في حِبَالَةٍ لا يقدر على التَخَلُّصِ.

مُكْتَبَلٌ: مُوثَق، والكَبْل: القَيْد.

وَغَلِقٌ: ذاهب. من قولهم: غَلِقَ الرَّهْنُ: إذا ذَهَبَ.

القَطِينَ: الأهل.

وينتصر كاتب هذا التذوق للرواية الأصلية للبيت، أي المثبتة في المتن. وهو البيت في موازاة تامّة مع بيت كعب بن زهير:

بانت سُعَادُ فقلبي اليوم مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ[1]

فألفاظ القَلْب، والكَبْل، والإِثْر، وعدم المكافأة تكاد تكون مشتركة بين البيتين.

ولأَنَّ سويداً كان قد ذكر لفظة «ففؤادي» في البيت ٤٥، فنستبعد أن يُعيدَ اللفظةَ بُعيد أبياتٍ قليلة، ومن ثَمَّ فَإِنَّ ٱستبعادها، وإحلال لفظة «كريم» بدلاً منها لهو عَينُ العقل والفَنِّ والشَّاعرية في هذا السِّياق.

والمُتَّبَع - ههنا - فيما يراه كاتبُ هذا التذوق - الذي يُتْبعه الشَّاعِرُ بنظراته، وعواطفه، وطموحاته.

٥١- فَكَأَنِّي إِذْ جَرَى الآلُ ضُحَىً فَوْقَ ذَيَّالٍ بِخَدَّيْهِ سَفَعْ

ويروى: «سُفَعْ».

الآل: ما يكون عند ارتفاع النَّهار؛ فإذا كان عند الزَّوال وبعده فهو

---

(١) في التذوق الجمالي لقصيدة «بانت سعاد» ص١٧.

السَّراب[1].

الذَيَّال: الثَّور الطَّويل الذَّنَب.

السُّفْعَة: سَوادٌ يضرب إلى حُمرة: ووَجْهُ الثَّورِ وقَوَائِمُهُ مُخَالِفٌ لسائر جسده لأنَّ جَسَدَهُ أبيضُ؛ وقوائِمُهُ وَخَدَّاهُ إلى الحُمْرَةِ في سَوَادٍ، ومَتْنُهُ أبيضُ قد نَصَعَ.

وَسُفَعٌ جمع سُفْعَةٍ، وسَفَعٌ: مَصْدَرٌ.

وبدل أنْ يذهب الشاعر في تفصيلات صفات وسائل المواصلات إلى أرض حبيبته كما فعل كعب بن زهير في أبياته:

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغها ... إلاَّ العِتَاقُ النَّجيباتُ المَرَاسِيلُ

إلى قوله:

يَسْعَى الوُشَاةُ بِجَنْبَيْهَا وقولُهُمُ ... إِنَّك يا آبنَ أَبي سَلْمَى لَمَقْتُولُ

ذَهَبَ يُصَوِّرُ مناظر الصَّيد ومطاردة كلاب الصَّيد للثور الوحشي.

٥٢- كُفَّ خَدَّاهُ على دِيْبَاجَةٍ ... وعلى المَتْنَيْنِ لَونٌ قَدْ سَطَعْ

ويروى: «وعلى مَتْنَيْهِ».

ويروى: «قد نَصَعْ».

كُفَّ: ضُمَّ.

قد سَطَعَ: علا.

نَصَع: خَلُصَ بَيَاضُهُ، وكُلُّ خَالِصٍ نَاصِعٌ.

---

(١) المفضليات ص٣٨٩.

يقول: جُمعَ وَجْهُ هذا الثور على دِيباجَةٍ لِسَوَادِهِ، وَمَتْنُهُ أبيض قد سَطَعَ.

وقيل: إنَّ في وَجْهِهِ سَوَاداً مع بياضِه فكأنَّهُ وَشْيُ دِيْبَاجٍ.

٥٣- يَبْسُطُ المَشْيَ إذا هَيَّجْتَهُ مِثْلَ ما يَبْسُطُ في الخَطْوِ الذَّرَعْ

الذَّرَعْ: وَلَدُ البَقَر الصَّغير.

البَسْطَة: السَّعَة[١].

والمعنى - فيما يراه كاتبُ هذا التذوق - أنَّ الثَّورَ يباعد في خَطْوِهِ إذا ٱهتاج.

٥٤- رَاعَهُ مِنْ طَيِّءٍ ذُو أَسْهُمٍ وَضِرَاءٌ كُنَّ يُبْلِينَ الشِّرَعْ

ويروى: «السَّرَعْ»، والسَّرَع: السُّرْعَة.

الضِّراء: الكلاب التي ضُرِيَتْ للصَّيد، الواحد: ضِرْوَةٌ.

الشِّرع: الأوتار.

وقيل: كُنَّ يُبْلِين صِدْقاً في الإسراع: يقال: أَبْلاني خيراً أي: آتاهُ إِلَيَّ.

والمعنى الإجمالي: أَخافَهُ (الثَّورَ) رَجُلٌ من طيء يَمتشقُ قوساً، وكلاب ضَاريات (تعَوَّدت على الصَّيد)[٢] تُحْسِن الإسراعَ حين تُبْتَلى (تمتحن) به.

---

(١) مختار الصحاح: بسط.

(٢) مختار الصحاح: ضَرِيَ.

٥٥- فَـرَآهُـنَّ ولَمَّـا يَسْتَبِـنْ وَكِـلَابُ الصَّيْـدِ فِيهِـنَّ جَشَـعْ

الجَشَع: إفراطُ الحِرْص والدَّهَشِ حين يرى الطَّعام.
آستبان: ظهر. وآستَبَنْتُهُ: عَرَفْتُهُ[١].

والمعنى الإجمالي: فرأى الثَّورُ الوحشيُّ الكلابَ مِن بُعْدٍ دون أن يستجلي هيئاتها، أو يُدَقِّق في ملامحها. وكيف يفعل ذلك وكلابُ الصَّيد في مثل هذا الموقف أَبْغَضُ ما تكون منظراً في عيني الثور؟!

٥٦- ثُـمَّ وَلَّـى وَجَنَـابَـانِ لَـهُ مِـنْ غُبَـارٍ أَكْـدَرِيٍّ وَآتَّـدَعْ

الجَنَابان: الجانبان.
أكدَرِيٌّ: فيه كُدْرَة أي: غُبْرَة، وَطِين، وأوساخ.
أتَّدَع: لم يجتهد في العَدْوِ.

والمعنى الإجمالي:
ما إن لَمَحَ الثورُ الكلابَ حتى أطلق قوائِمَهُ للرِّيح وبدا جانباه والغُبَارُ يُلَطِّخهما لأنَّه لا يبالي أَخَبَطَ على الطِّين أم على الماء أم على المستنقع. ويبدو أنَّه بعد أن قطع مسافة يراها كافية للشعور بالأمن طفق يُخَفِّف من سُرعة عَدْوه ليعرف وُجْهَةَ هذه الكلاب، وما ينتويه صاحبها، وَأَيَّ المسالك بدأوا يسلكون؛ وذلك لِيُحْسِنَ الانحراف والتحرُّفَ عن مراصد الهَلَكَة.

٥٧- فَتَـراهُـنَّ علـى مُهْلَتِـهِ يَخْتَلِيـنَ الأَرْضَ والشَّـاةُ يَلَـعْ

---

(١) مختار الصحاح: بين.

الشاة: يعني الثَّورَ.

يَلَعُ: يعدو عَدْوَاً لَيِّنَاً ولا يجتهد.

يقول: ترى الكلابَ على مُهلة الثَّور وَٱتِّداعه في عَدْوِه يَخْتَلِينَ الأرض: أي يقطعنها.

والمعنى الإجمالي أنَّ الكلابَ كانت تَذْرَعُ الأَرْضَ بسرعة «صاروخية» في وقت كان فيه الثورُ يَعْدُو على مَهَلٍ، غَيْرَ متحقق مما ينتوي عَمَلَهُ، أَو من الوِجْهة التي سوف يقصدها. أي هي تعرف ما تريد، وعَلَّمت على عَدُوِّها وَهَدَفِها، وهو حائر بين أمر الهرب أو قبول التَحدِّي، والتَصَدِّي.

٥٨- دَانِيَاتٍ مَا تَلَبَّسْنَ بِهِ وَاثِقَاتٍ بِدِمَاءٍ إِنْ رَجَعْ

ويروى: «دائبات».

يقول: تدأب الكِلابُ في طَلَبِ الثور، ومع دَأْبِهِنَّ لم يُخَالِطْنَهُ خوفاً منه.

واثقات بدماء: أي عالماتٍ أَنَّهُ إنْ رَجَعَ عليهن جَرَحَهُنَّ بِقَرْنِهِ وَدَمَّاهُنَّ.

وما يلاحِظُه كاتِبُ هذا التذوقِ هو لغة الرشاقة والتكثيف اللغوي التي يتميز به البيت؛ وهو أقرب إلى الإيماء إلى المعاني إيماءً مع ترك التفصيلات لأهل الفِطنة.

٥٩- يُرْهِبُ الشَّدَّ إذا أَرْهَقْنَهُ وإذا بَرَّزَ مِنْهُنَّ رَبَعْ

ويروى: «يُهْذِبُ الشَّدَّ» أي يُسْرِعُهُ. يقال: أَهْذَبَ في سَيرِهِ إهذاباً:

إذا أسرع فيه.

قال أبو جعفر[1]: لا أعرِفُ يُرْهِبُ وهو خطأ، ولكن يُرْغِبُ وَيُهْذِبُ.

ويروى: «يُلْهِبُ» والإلهاب: شِدَّة العَدْو.

أرهقنه: أَعْجَلْنَهُ.

بَرَّز منهن: بَعُدَ.

رَبَع: حَبَسَ وكَفَّ عن العَدْوِ.

٦٠- سَاكِنُ القَفْرِ أَخُو دَوِّيَّةٍ فإذا ما آنَسَ الصَّوتَ امَّصَعْ

ويروى: «انصمع» أي: أَصَرَّ أُذُنَيه للاسْتِمَاع.

وروى أبو جعفر[2] «مَصَع» وقال: لا يكون: «انْمَصَع».

والرواة يقولون «انمصع».

ومَصْعُهُ أنْ يَعْدُو يُحَرِّكُ ذَنَبَهُ، ولا يكونُ ذلك إلاَّ وفيه بَقِيَّةٌ من نَشَاطٍ.

الدَوِّيَّة: الفلاة الواسعة البعيدة الأطراف[3].

٦١- كَتَبَ الرحمنُ والحَمْدُ لَهُ سَعَةَ الأَخْلاقِ فِينَا والضَّلَعْ

الضَّلَع من الاضْطِلاع بالأمورِ يقال: اضْطَلَع بحمله: إذا قَوِيَ عليه.

---

(١) هو: أحمد بن عبيد بن ناصح. مَرَّ الحديث عنه.

(٢) ذاته.

(٣) المفضليات: تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ص١٩٧.

ويقال: فلان مُضْطَلِعٌ بحوائج النَّاس: إذا كان قوياً عليها.
ويقال: الضَلَعُ: الوثاجة، والشِّدَّة، والقُوَّة، والاضْطِّلاع بالثِّقْلِ.
والضَلَع في غير هذا الموضوع: الجَوْرُ والمَيْل.

والمعنى الإجمالي: كأنَّ الحِلْمَ وقضاءَ حوائج النَّاس والسَّعْيَ على مصالحهم قضاءٌ وقَدَرٌ علينا لا انفكاكَ لنا منه. أي لا نستطيع إلاَّ أن نكون أجواداً حُلَمَاءَ.

٦٢- وَإِبَـــاءٌ للـــدَّنِيَّـــاتِ إذا أُعْطِـيَ المَكْثُـورُ ضَيْمَـاً فَكَنَـعْ

الكَنَع: الخُضُوع والضَّرَع (في المسألة).
المَكْثُور: الذي غُلِبَ بالكَثْرة، أي ضُيِّقَ عليه[1].
الدَّنِّيَات: جمع دَنِيَّة، وهي النَقيصة، ومثلها: دنيئة[2].

والمعنى الإجمالي: نَأْبى النقائصَ إذا غُلِبَ على الآخرين وتخاضعت نفوسُهم ذُلاًّ.

٦٣- وَبِنَـاءٌ للمَعَـالِـي إِنَّمـا يَـرْفَـعُ اللهُ، ومَـنْ شَـاءَ وَضَـعْ

وهو عطف الكلام على البيت ٦١: «كَتَبَ الرحمن والحمد لله» أي: كتب سَعَةَ الأخلاق فينا، والضَّلع، وإباءَ الدنيات. وبناءً للمعالي: أي: ما كان لنا أن نكون في غير هذه المواقع التي خَصَّنا الله تعالى بها.

---

(١) المعنى لي.
(٢) مختار الصحاح: دنأ.

٦٤- لا يُرِيدُ الدَّهْرَ عنها حِوَلاً جُـرَعَ المَـوْتِ وللمَـوْتِ جُـرَعْ

ويروى: «فيها حِيلَةً»: أي لا يَعْرِفُ وَجْهَ حِيلةٍ فَيَطْلُبَها.

ويروى: «لا نُرِيدُ الدَّهْرَ عنها حِوَلاً»: أي تَحَوُّلاً.

يقول: مَقَامُهُ في هذه البلاد جُرَعُ الموت، ولا يُقْدَرُ على التَحَوُّل منها.

جُرَعَ الموت: بالنَّصب على الصِّفة. أي: يبتني المعاليَ ابتناءً كَجُرَعِ الموت[1] في الصُّعوبة.

ويُنْظَرُ في هذا البيت - كما يراه كاتبُ هذا التذوق - إلى بيتِ أبي الطيب المتنبي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أن يرى عَدُوّاً له ما مِن صداقته بُدُّ[2]

ويلاحظ ورود لفظة «حُرٍّ» عند سويد في البيت ٦٦، وهو لفظة «الحر» عند المتنبي. والحديث عند كِلَيْهِما عن الصَّديقِ المفروضِ على الإنسان، بما يجعل أَمْرَ إلمام المتنبي ببيت سُوَيد قائماً.

وإذا جَازَ لنا أن نستهديَ بأقيسة الشَّاعر المتأخر لنفهم المتقدم فنقول: إنَّ تقديرَ بيتِ سويد: يذوق جُرَعَ المَوْتِ. قياساً على «يَرَى عَدُوّاً له» في بيت المتنبي. وقياساً على «ويراني كالشَّجا في حَلْقِه» في بيته «سويد» ص٦٨. فتكون «جُرَعَ» منصوبة على المفعولية.

---

(١) التأويل: ابتناء صَعْباً. «فجُرَعَ الموت» في موضع «صَعْباً» على الصِّفة.

(٢) ناصيف اليازجي: **العَرْفُ الطَّيِّب في شرح ديوان أبي الطيب** (دار صادر - دار بيروت ١٩٦٤م) ص٣٨٣.

٦٥- نِعَـــمٌ للهِ فِينَـــا رَبَّهَـــا   وصَنِيـــعُ اللهِ واللهُ صَنَـــعْ

ويروى: «نِعْمَةَ لله فينا».

ورواها أبو عكرمة: «نِعَمٌ» على الجمع مرفوعة.

رَبَّها: أَصْلَحها وَأَتَمَّها. يقال: أَرْبُبْ مَعْرُوفَكَ.

وقال أبو عمرو: واللهُ صَنَعٌ في هذه الصَّنعة: قادر على أن يَصْنَع.

وكاتب هذا التذوق يختار «نِعَمٌ» بالرَّفع فهي جملة استئنافية.

وما يراه كاتبُ هذا التذوق أنَّ الحديثَ عن الصَّنيع والصَّنع هٰهنا إنما هو مردودُ العيش في مناخ الآيات القرآنية التي يبدو أن البيت «لا يريد الدهرَ عنها حولاً» كان استلهامَ الآيةِ القرآنية الكريمة: ﴿خالدينَ فيها لا يَبْغُونَ عنها حِوَلا﴾ [الكهف:١٠٨] فالآية ١٠٤ قبلَ هذه الآية ﴿الذين ضَلَّ سَعْيُهم في الحياةِ الدنيا وهم يَحْسَبون أَنَّهُمْ يُحْسِنُون صُنعا﴾. فظلت لفظة «صنع» ومشتقاتها تلوحُ في أفق الشاعر ساعةَ إبداعِ القصيدة. ولعلَّ الشاعرَ قد وضع صديقه الحاسِد في موضع ﴿الذين ضَلَّ سَعْيُهم في الحياة الدنيا وهم يَحْسَبون أنهم يحسنون صنعا﴾ كما سيأتي تفصيله. انظر التعليق على البيت ٨٧.

٦٦- كَيْفَ باسْتِقْرَارِ حُرٍّ شَاحِطٍ   بِبِـــلَادٍ لَيـــس فيهـــا مُتَّسَـــعْ

ويروى: «ساخط».

الشَّحْط: البُعد[١]. وشاحِط: مُبْتَعِد.

---

(١) مختار الصحاح: شَحَط.

ويَستبعدُ كاتبُ هذا التذوق لفظة «ساخِط» في هذا السياق، فقبلها الحديث عن النِّعم التي رَبَّها اللهُ تعالى فيهم، ومَنْ كان يتحدثُ بهذه اللغة لا يذكر السَّخَطَ والسُّخْط وهو ضد الرِّضى. والسَّاخط: الغاضب أيضاً[1].

٦٧- رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظَاً قَلْبَهُ   قد تَمَنَّى لِيَ مَوتاً لَمْ يُطَعْ

يُنْظَر في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين كفروا بآياتنا سوف نُصْلِيهم ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهم بدَّلناهم جُلوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العذابَ؛ إنَّ اللهَ كان عزيزاً حكيما﴾ [النساء: ٥٦].

وما يراه كاتبُ هذا التذوق أنَّ «غَيظاً» تمييز منصوب.

لم يُطَعْ: أي لم يُطَعْ في تَمَنِّيه موتَ الشَّاعر؛ وأمرُ الحياةِ والموت من أمور رَبِّ العالمين.

٦٨- ويَرَاني كالشَّجا في حَلْقِهِ   عَسِراً مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ

ويروى: «وأراني كالشجا في حَلْقِهِ».

الشَّجا: الغَصَص.

وفي المَثَل: ويل للشَجِيِّ من الخَلِيِّ، أي: ويلٌ للحزينِ من الخَلِيِّ من الحُزن.

وكاتبُ هذا التذوق يختار لفظة «يراني» المنسوقة على «تَمَنَّى». ويرى أنَّ ياء المتكلم مفعول أول لِـ«يرى» وأنَّ «عَسِراً»: مفعول ثانٍ.

---

(١) مختار الصحاح: سَخِطَ.

٦٩- مُزْبِدٌ يَخْطِرُ ما لم يَرَنِي فـإذا أَسْمَعْتُـهُ صَـوتِـي ٱنْقَمَـعْ

الخَطْرُ: تحريكُ اليدين في المشي والاختيالُ بهما.

ٱنقمع: دخل بعضُه في بعض.

والمعنى: أنَّه يَتَعَظَّمُ إذا لم يَرَني، فإذا رآني تَضَاءَل.

بَحْرٌ مُزْبِدٌ: بحر مائج يَقْذِف بالزَّبَد. والزَّبَد: زَبَدُ الماء[١]. وهو (ما ابْيَضَّ من فقاعاته).

وما يراه كاتب هذا التذوق أَنَّ هذا الشخص يُهَدِّد ويتوعَّد ويمشي الخُيَلاء فإذا سمعَ صوتَ الشاعرِ ٱرعوى وخَنَس.

٧٠- قَدْ كَفَانِي اللهُ ما في نَفْسِهِ وَمَتَى ما يَكْفِ شيئاً لا يُضَعْ

وَيُروى: «فكفاني الله».

ويروى: «لا يُسَعْ».

ويروى: «لم يُضَعْ».

لا يُضَعْ: لا يَفْشُ.

وقيل: ضائع سائع، وضاع سَاعَ، وساعَ يَسُوعُ، وناقة مِسْياع: إذا كانت تصبر على الإضاعة.

تَضَيَّع المِسْكُ، أي: فاحَ[٢].

وكاتب هذا التذوق يختار «لا يُضَعْ» بمعنى لا يَفْشُ، ولم يَفُحْ.

---

(١) مختار الصحاح: زبد.

(٢) مختار الصحاح: ضيع.

والمعنى الإجمالي أنَّ الله تعالى قد رَدَّ كيدَ هذا الظالمِ إلى نفسهِ، وبقيَ هذا الكيدُ حَبيسَ نفسه لم يخرج منها إلى حَيِّز التنفيذ.

٧١- بِئْسَ ما يَجْمَعُ أن يَغْتَابَني مَطْعَـــمٌ وَخْـــمٌ وَدَاءٌ يُـــدَّرَعْ

وَخْم: غير مَرِيء.
يُدَّرع: يُلْبَس.

الجمع ههٰنا بين الغِيبة وهي أكل لحم أخيه المَيِّت كما في قوله تعالى: ﴿ولا يَغْتَبْ بَعْضُكم بَعْضَاً؛ أَيُحِبُّ أحَدُكم أن يَأْكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوه﴾ [الحجرات: ١٢]؛ وبين دَاءِ الحَسَد الذي يُلْبَسُ كأنَّه الدِّرع، وهو القَميص؛ أو الدِّرع الحديدي (أو الحديدية)[١].

٧٢- لم يَضِرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ

الضُّوَع: ذَكَر البُوم، وجمعه: ضِيعان. ويقال: الضُّوَع: طائر صغير.

يزقو: يصيح.
يقول: ليس عنده من القُوَّةِ إلَّا الصِّياح.

٧٣- وَيُحَيِّينِـــي إذا لَاقَيْتُـــهُ وإذا يَخْلُـو لــه لَحْمِـي رَتَـعْ

رَتَع: أكل. وأرتع الرَّجُلُ: إذا ترك إِبِلَهُ ترعى.
يُنظر في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) مختار الصحاح: درع: الدِّرع يُذَكَّر ويُؤَنَّث.

٧٤- مُسْتَسِرُّ الشَّنْءِ لو يَفْقِدُني لَبَدَا مِنْهُ ذُبَابٌ فنَبَعْ

ويروى: الشُّنْء: وهو الشَّنآن والشَّنَاءة، وكُلُّه: البُغْض.
والذُّباب: الأذى. ويقال: لِفُلانٍ ذُبَابٌ، أي: أذى وشَرٌّ.
ونَبَع: ظَهَرَ.
تَفَقَّده: طَلَبَهُ عند غَيْبَته[١].

المعنى الإجمالي: البُغْضُ دَفِينٌ في صَدْرِه، لو طَلَبني عند غَيْبَتي لظهر منه أذىً وشَرٌّ. أي تَفْضَحُ عِبَاراتُه الحاقدة ما يران على نفسه.

وللأسف فمِثْل هذا الدَّاء مُبْتلاةٌ به شرائحُ كثيرة من المجتمعات العربية.

٧٥- سَاءَ ما ظَنُّوا وَقَدْ أَبْلَيْتُهُمْ عِنْدَ غَايَاتِ المَدَى كَيْفَ أَقَعْ

ويروى: «وقد عَوَّدْتُهم عند غَايَاتِ النَّدَى».
أَبْلَيْتُهم: أي عَرَفُوا مِنِّي وَٱسْتَيْقَنُوا.
والمدى والنَّدى واحد، وهما الغاية.
كيف أقع: كيف أَصْنَع.

والمعنى الإجمالي: خَيَّبْتُ ظَنَّ هؤلاء الذين رَاهَنُوا على مَسْلَكِي، وها قد ٱستيقَنَتْ نُفوسُهم أنني أكبرُ من كُلِّ تقديراتهم.

٧٦- صَاحِبُ المِئْرَةِ لا يَسْأَمُها يُوقِدُ النَّارَ إذا الشَّرُّ سَطَعْ

المِئْرَة: العداوة والإِحْنَة. ويقال: في صَدْرِه عَلَيَّ مِئْرَةٌ، أي: حِقْد.

---

(١) مختار الصحاح: فقد.

أي: لا يَسْأَمُ صَاحِبُ الحِقْدِ من إيقادِ النَّار وتغذيتها إذا لاح أدنى نائرة أو خصومة، أو استطارَ الشَّرُّ.

٧٧- أَصْقَعُ النَّاسِ بِرَجْمٍ صَائِبٍ ليس بالطَّيْشِ ولا بالمُرْتَجِعْ

الصَّائب: المُصيب.

الصَّقع: الضَّرب على الرأس.

الطَّائش: الخفيف على غير قَصْدٍ. والطَّيش: الخِفَّة. ومِن هذا الطَّيشُ في النَّاس، وهو الخِفَّة.

الرَّجم ههنا الكلام؛ وهو في الأصل الرَّمي.

والمُرْتَجع: الذي يُرْمَى به فيصيبه شيءٌ فَيَسْقُطُ فَيُرْمَى به ثانياً. فيقول: لا أعيد الكلام فأجعله رجيعاً.

يقول: ليس يُخطِىءُ ولا يُرْتَجَعُ. أي لا يُرَدُّ.

وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّه يعرف مقاصد القول وإيماءاته، وإيحاءاته؛ فإن تكلَّم تكلم بكلام مُتَّزن مسؤول، فلا يُلقي الكلامَ على عواهنه، ولا تصدر قراراته عن طيش؛ ولا هو بالذي يبلع كلامه ثانية لأنَّ قراراته (الذي يبلع كلامَه ثانية) لا تجد الطريق إلى الإنفاذ.

٧٨- فَارِغُ السَّوطِ فما يَجْهَدُني ثَلِبٌ عَوْدٌ ولا شَخْتٌ ضَرَعْ

فارغ السَّوط: شَبَّه نفسه بِفَرَس لا يحتاجُ مُجْرِيهِ إلى السَّوط.

الثَّلب: الكبير من الإبل، وهو العَوْد.

الشَّخت: الدَّقيق النَّحيف الصَّغير.

والضَّرَع: الصَّغير السِنِّ.

والثَّلِب أصلها ثِلْب بإسكان اللام فلمَّا احتاج إلى تحريكها حَرَّكَها، وكذلك يصنعون في (فِعْلِ)[1] ويكون مثل: فَخِذٌ وَفِخْذٌ، وَوَرِكٌ، وَوِرْكٌ.

والمعنى الإجمالي كما يراه كاتب هذا التذوق: أَنَّه يُشَبِّه نفسه بالفرس الذي لا يحوج صاحِبَه إلى ضربه بالسِّياط لأَنَّه عزيز النَّفس؛ ويُشَبِّه الوسط المعادي له بأنهم في فريقين: فريق في الشيخوخة والهَرَم ويبدو أنهم المُحَرِّكون للعداوة؛ وفريق من صغار الشَّباب الذين رضعوا العداوة وجَرَوا في ريحها.

٧٩- كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا لاَحَ في الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعْ

ويروى: «لَمَعَ الرَّأْسُ بشيب وصَلَعْ».

سِقَاطي: فَتْرَتِي. يقال للرَّجُل: إنَّه لذو سَقْطاتٍ، أي: لا يَزَالُ يَفْتُرُ فَتْرَةً بعد فَتْرَةٍ.

يقول: كيف يؤمِّلون فَتْرَتِي وَسَقْطِي وقد بلغت هذا السِنَّ - على طريق التعَجُّب.

والمعنى الإجمالي: أعياهم البحثُ عن سَقْطَةٍ لي تكون ذَرِيعةً في أيديهم يَسْعَوْنَ فيها إلى ذوي الأمر، أو تكون حُجَّةً قانونية يستندون إليها في إيقاع الضَّرر بي. وكيف يرجون ذلك وقد بلغت من الكِبَرِ عِتِيًّا، وخَبرتُ الدنيا، وعَرَكتها، وعرفت الصَّديق فيها من العَدُوِّ.

٨٠- وَرِثَ البِغْضَةَ عَنْ آبائِهِ حَافِظُ العَقْلِ لِمَا كَانَ اسْتَمَعْ

---

(١) الإشارة هنا إلى الميزان الصَّرفي للكلمة.

قوله: «وَرِثَ البِغْضَةَ عن آبائه» أي: سَمِعَهُم يذكرونَ العداوةَ وَسَمِعَهُمْ يَشْتُمُونَنِي فَحَفِظَ ذاك عنهم فهو يجري عليه. أي: حَفِظَ ما كان ٱسْتَمَعَهُ منهم وعَقَلَهُ.

وما يراه كاتبُ هذا التذوق أنَّ هذه هي البُقعة السَّوداء في النظام القَبَلي للحياة الاجتماعية العربية. وتصرُّف هذا الذي يحملُ البغضاءَ للشاعر لا يكاد يجد مُسَوِّغاً، فالإسلامُ يعلو ولا يُعلى عليه، وأخوة الإسلام تعلو على حساسيات القبيلة، وأنانيات القبيلة، وتوصيات بعض رجال القبيلة، على حَقٍّ كانوا أم على باطل. وإذا كانت السيادة هي للقانون في الدول المعاصرة، فما كان أحرى بأن تذوب هذه العنعنات العربية في خِضَمِّ المسيرة الإسلامية، واحترام القانون، والالتزام بتوجيهات الإسلام.

٨١- فَسَعَى مَسْعَاتَهُمْ في قَومِهِ   ثُمَّ لم يَظْفَرْ ولا عَجْزاً وَدَعْ

ويروى: «ولا شيئاً وَدَعْ».

أي: فَسَعَى مَسْعَاةَ أبيه في قومه، أي: كما كانوا يَسْعَوْنَ فلم يَظْفَرُوا بما أرادوا؛ ولا ترك عَجْزاً (مِنِّي) إلاَّ ٱسْتعمله.

والإشارة واضحة إلى هذا الخلل الاجتماعي الذي قَوَّض نسيج الحياة العربية في القرون الإسلامية الأولى. وَمِثْلُ هذا الذي سعى مَسْعَاةَ قومه دونما تبصر للعواقب كان كثيراً ولم يزل في طَيَّات المجتمعات العربية. وهذا الموقف كان مسؤولاً عن كثير من تنحيات أولاد يعرب عن الإمساك بزمام السُّلطة كما كان في عهد السَّلاجقة، والبويهيين، والمماليك، والأتراك، والألبان.

٨٢- زَرَعَ الدَّاءَ ولم يُدْرِكْ بِهِ تِرَةً فَاتَتْ ولا وَهْيَاً رَقَعْ

المعنى الإجمالي: بذر بذور العَدَاوة، فلم يُدْرِك بها ذَحْلاً (ثأراً) فائتاً، ولا رقع أمراً واهياً (أي سَدَّ خَلَلاً).

٨٣- مُقْعِياً يَرْدِي صَفَاةً لم تُرَمْ فـي ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ

الإقعاء: القُعود بالإست على القَدَمَيْنِ مُنْتَصِبَتَيْنِ.

يَرْدِي: يَرْمِي. والمِرْدَاة: الحَجَرُ الذي يُرْمَى.

الصَّفاة: الصَّخرة الملساء.

لم تُرَمْ: لم يَرُمْها أحد لِعِظَمِها.

الذُّرى: الأعالي.

الأَعْيَط: الجَبَلُ الطويل.

وَعْرٌ ووعِرٌ: غليظ شديد.

المُطَّلع: الموضع الذي يُشْرَفُ منه.

وإنَّما هذا مَثَلٌ ضربه لنفسه: أي حَاسِدي يَرُومُ مِنِّي ما لا يقدر عليه: أي أنا كهذا الجَبَل الذي يُرْمَى بالحَجَر، والجَبَلُ لا يَضُرُّه ذلك الرَّمْيُ.

٨٤- مَعْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كَانَ بِهِ غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أَنْ تُقْتَلَعْ

ويروى: «مَعْقِلاً» بالنَّصب.

وكاتب هذا التذوق يختار رواية «معقل» بالرَّفع، والتقدير هي مَعْقِلٌ. وذلك أقوى للسِّياق، وأَدَلُّ على لفت النَّظر، والتنويه.

يقول: هذه الصَفاة أعيت النَّاسَ، فلم يقدروا على اقتلاعها.

٨٥- غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمُ فَـأَبَـتْ بَعْـدُ فَلَيْسَـتْ تُتَّضَـعْ

الإشارة هٰهنا إلى الآيات القرآنية الكريمة حول عاد، من ذلك قوله تعالى: ﴿وأنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأولى﴾ [النجم: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد إذ أَنْذَرَ قَومَهُ بالأحقاف﴾ [الأحقاف: ٢١]. والأحقاف: واد.

وتُتَّضَع: تُنْزَل (كما يبين ذلك البيت التالي «إلاَّ فوقهم»).

ويلاحظ أنَّ الشاعر شَبَّه نفسه بهذه الصَّفاة، وطفق يُفيض في تفصيلات المُشَبَّه به؛ وهي طريقة يتبعها الشعراءُ في الجاهلية وعصر صدر الإسلام.

٨٦- لا يَرَاهَا النَّاسُ إلاَّ فوقَهُمْ فَهْيَ تَأتي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعْ

وما يراه كاتبُ هذا التذوق أنَّ هذه الصَّفاة كأنَّها العَصَا السِّحرية يريد الشَّاعر أن يحركها حركات تَدُلُّ عليه لا عليها. وهي إذا كانت ناجحةً «فنِّياً» فهي أبعد عن النَّجاح مَنْطِقًا وإقناعاً.

٨٧- وَهْوَ يَرْمِيها ولن يَبْلُغَهَا رِعَةَ الجَاهِلِ يَرْضَى ما صَنَعْ

وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ الصَّفاةَ هٰهنا كَأَنَّها طواحين «دونْ - كِيشُوتْ» في قصة «سيرفانتس» المشهورة. والرِّعة ههنا الفَهَاهةُ وقلَّة التركيز الفِكري.

وقول الشاعر «يرضى ما صَنع» هو مضمون الآية القرآنية الكريمة

التي سبق وأنْ نوَّهنا بأثرها على ذهنية الشاعر ساعةَ إبداعِ هذه القصيدة، وهي: ﴿الذين ضَلَّ سَعْيُهم في الحياةِ الدُّنيا وهم يَحْسبونَ أنَّهم يُحْسِنُونَ صُنعا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فالحاسِدُ - في نظر الشاعر - هو من الذين تنطبق عليهم هذه الصِّفات.

٨٨- كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى ٱبْيَضَّتا فَهُـوَ يَلْحَـى نَفْسَـهُ لمَّـا نَـزَعْ

ويروى: «كَمَهَت عينيه» أي: عَمَتْهُمَا.

الأَكْمَهُ: الذي يولد أعمى.

يَلْحَى: يلوم؛ وَلَحَيْتُهُ ولَحَوْتُهُ من قَشْرِ لحاء العُود.

ونَزَع: كَفَّ.

يقول: يلوم نفسه لَمَّا كَفَّ لِتَعَرُّضِهِ لها.

وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ «ابيضتا» ههٰنا هي رَجْعُ الحديث إلى يعقوب عليه السَّلام ﴿وتولَّى عنهم وقال يا أسَفَى على يوسُف وابيضَّت عَيناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهْوَ كَظيم﴾ [يوسف: ٨٤].

ويلاحظ قول الشاعر «فَهُوَ» فهي مع قوله «عيناه» في ٱتِّساقٍ تام مع ورودها في الآية الكريمة. وعليه، فكاتب هذا التذوق يستبعد رواية «كَمَّهَتْ عينيه» إذ ما يَرِنُّ في أُذُني الشاعر ساعة إبداع القصيدة إنما هو «عَيناهُ» بالرَّفع. ولَعَلَّ الرِّواية الأصلية «حَزِنت عيناه» أو «كَظِمَت عيناه»؛ فكلتاهما من مادَّة الاستلهام الذي بنى عليه الشَّاعر. وما نَظُنُّ أنَّ «كَمِهت» ههٰنا لها مَوضِعٌ في السِّياق.

٨٩- إذْ رَأَى أَنْ لم يَضِرْهَا جَهْدُهُ وَرَأَى خَلْقَـاءَ مـا فيهـا طَمَـعْ

ويروى: «ما فيها زَلَع». والزَّلع: التَّشَقُّق.
الخَلْقَاء: الصَّخرة الملساء.
وقوله: ما فيها طَمَع: أي لا يستطيع أَحَدٌ أن يَصْعَدَها: ضَرَبَها مثلاً للعِزِّ.
الجَهْدُ: الجِدُّ في الأمر والمبالغة[1].

وكاتب هذا التذوق يرى أنَّ أمر الصَّفاة والمبالغة حولها بعيدٌ من أن يكون «مُعَادِلاً موضوعياً» لما يريد تقديمه من أفكار واتجاهات ورصد لحركات الطرف المعادي الحاسد. أمَّا الشِّعر فهو سَلِسٌ سهل واضح يفيضُ شاعريةً، ويتدفَّق إيقاعاً وأنفاساً شاعرية.

٩٠- تَعْضِبُ القَرْنَ إذا نَاطَحَها وإذا صَابَ بها المِرْدَى ٱنْجَزَعْ

تَعْضِبُ تَكْسِرُ. وهو من الظَّبي الأَعْضَب وهو الذي ٱنكَسَرَ أَحَدُ قَرْنَيْهِ.
صَابَ: وَقَعَ.
المِرْدَى: الحَجَرُ الذي يُرْمَى به، وهو المِرْداة.
ٱنجزع: انقطع وَٱنكسر. وهو مأخوذ من جَزْع الوادي أي: مُنْقَطَعِهِ.
ويقال: جَزَعْتُ الوادي: إذا قَطَعْتُهُ.

وهذا مثل قول الأعشى:

---

(١) مختار الصحاح: جهد. الجُهْد (بضم الجيم وفتحها) الطَّاقة، والجَهد (بالفتح) المَشَقَّة.

كنـاطـحِ صَخْـرَةٍ يـومـاً لِيَفْلِقَهَـا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَّعِلُ[1]

والمعنى الإجمالي: تكسر هذه الصَّفاةُ قَرْنَ الوَعْل إذا نَاطَحها، وإذا وقع عليها الحَجَرُ الكبير أنكسر. كل ذلك دلالة على المَنَعَةِ وأنَّ الشَّاعر أكثرُ حَصَانَةً، وَأَرْسَخُ أصولاً، وأكبرُ مُحَامَاةً عن نفسه مما تَوَهَّم الخُصُوم وَأَمَّلُوا.

٩١- وَإِذا مَـا رَامَهـا أَعْيَـا بِـهِ قِلَّـةُ العُـدَّةِ قِـدْمَـاً، والجَـدَعْ

ويروى: «أزرى به» أي: قَصَّر. وزَرَى عليه: عابَهُ.

الجَدَعُ: سُوءُ الغِذاء.

وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُ أَنَّ خُصُومَه أَبْعَدُ من أن يكونوا في عِلْيَةِ النَّاسِ من حيثُ الاقتدارُ الماديُّ والمعنويُّ حتى يكونوا أَهْلاً لِلمبارزة، والمُعَادَاةِ، وتحمُّل نفقات الحُروب، وتأليف قلوب المُرْتَزَقَة من القبيلةِ كانوا أم من بائعي القُدْرات القتالية بالدِّينار والدِّرهم و«الدُّولار» من قبائلَ أخرى.

وقوله: «قِدْمَاً» إشارة إلى أنَّ هؤلاء في السُّلَّم الاجتماعي الأدنى صَاغِراً عن صَاغِر.

٩٢- وَعَـدُوٍّ جَـاهِـلٍ نَـاضَلْتُـهُ في تَراخِي الدَّهرِ عَنْكُمْ والجُمَعْ

---

(١) أبو زكريا يحيى بن علي/ الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ): **شرح القصائد العشر**. ط١ (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥م) ص٣٤٣ وفيه البيت كناطحٍ صخرة.
يضرها: بمعنى الضرر.

ويروى: «جاهدتهم».

ويروى: «في تراخي الدَّار».

ويروى: «في تنائي الأَمْرِ مِنَّا والجُمَعْ» أي: في تَبَاعُدِ ما بَيْنَنَا.

المُنَاضَلة: المُرَامَاة.

التراخي: البُعْد.

الجُمَع: الجماعات.

وكاتب هذا التذوق يختار لفظة «مِنَّا» بدل «عنكم». إنَّ ضمير الخِطاب للجمع ههٰنا ليس له ما يُسَوِّغه. على أنَّ «تراخي الدَّهر» أكثر شاعريةً من قوله «تنائي الأمر».

جَاهِدٍ: من التَجَاهد وهو بذل الوُسْعِ والمجهود[1].

ويكون ثَمَّة المعنى الإجمالي كما يراه كاتب هذا التذوق:

وَرُبَّ عَدُوٍّ يَبْذُلُ مجهودَه أو قُلْ يَسْتَفرغُ مجهودَه في معاداتي قاتلته في الأيَّام الكثيرة الخوالي؛ وفي حُضور الجماعات الكُثْرِ الشُّهودِ على صِدْقِ ما أقول. وهذه الجماعات هم الأعادي كما في البيت ٩٤.

٩٣- فَتَسَاقَيْنَا بِمُرٍّ نَاقِعٍ   فـي مَقَامٍ ليس يَثْنِيهِ الـوَرَعْ

ويروى: «بِمُرٍّ ناصِع». والنَّاصع: الخالص.

أراد بالمُرِّ: الكلام.

الوَرَعُ: الجبان ههٰنا. والوَرَعُ: الكَفُّ، والوَرع: الهَيُوب الجبان.

والوَرِع من الرِّجال: التَقِيُّ المتحرِّج.

---

(١) مختار الصحاح: جهد.

يقول: ليس يُغني في ذلك المَقام الضَّعِيفُ.

وفي حاشية المفضليات[1] في تفسير قوله: «في مَقام ليس يثنيه الوَرَع» قال الأصمعي: «أراد بكلام قبيح لا يَشُوبُه تقوى الله ولا كَفٌّ عن المحارم».

وكاتبُ هذا التذوق يذهبُ إلى ما ذهبَ إليه الأصمعي، وهو في انسجام مع ما سقناه عن مناخ الآيات حول الجَنَّة وحول النَّاس الذين يَحْسَبُون أنهم يُحسنون صُنعاً وهم في الآخرة من الأخسرين. ويكون الشَّاعر قد قدَّر أن يكون هذا الحَاسِدُ على شيءٍ من الوَرَع وخشية الله تعالى، واعتبار مقام الدار الآخرة ويوم الحساب - على الأقل من خلال انتمائه إلى دِين الإسلام، والصَّلوات الخمس. ولكن لسوء الحظ لم يَبْدُ أنَّ هذا الحاسدَ قد كان لامس قَلْبَهُ شيءٌ من معاني التقوى والخشية والوَرَع. ناهيك عن الكلام المر القبيح الذي كان تنطلق به حُنْجَرَتُهُ، وتقذف به لَهَاتُهُ. وهو أَمْرٌ عَجَبٌ.

٩٤- وَٱرْتَمَيْنَا والأَعَادِي شُهَّدٌ   بِنِبَالٍ ذَاتِ سُمٍّ قد نَقَعْ

يقول أبو محمد القاسم الأنباري: أراد بالنِّبال: الحُجَّة في الافتخار، ونشر المكارم. وقوله: قد نَقَع، أي: قد بَلَغ. ويقال: نَقَع: ثَبَتَ. يقال: أنقع له الشَرَّ: إذا أَدَامَهُ له.

والحديث عن الأعادي ههنا لأنَّ لهم مَصْلَحَةً في أن يَرَوْا الشَّاعِرَ مُنْهَزِماً مخذولاً. وأمَّا الأصدقاء فلا يَحْضُرونَ ولا يَشْهدونَ مثل هذه

---

(١) ص٤٠٦.

المواقف لأنهم يأبَوْنَ على الشَّاعر أنْ يُسْتَدْرَج إلى مِثل هذه المتاهات، والتَّفاهات.

والحديث عن الأعادي الشُهَّد هو الذي سبق التنويه به في لفظة «الجُمَع» في البيت ٩٢.

٩٥- بِنِبَـالٍ كُلُّهـا مَـذْرُوبَـةٌ   لـم يُطِـقْ صَنْعَتَهـا إلاَّ صَنَـعْ

الصَّنع: الحاذق. ويقال للأنثى: صَنَاع.
والصَّانع: العامل بيده حَاذِقاً كانَ أو غيرَ حَاذِقٍ.
مَذْرُوبة: مُحَدَّدة.

والمعنى الإجمالي: أننا قد تَرَامَينا بِنِبالٍ مُحَدَّدة رُتِّب لها أن تكون قاتلةً مُميتةً. وإذا كانت كذلك فَهي عالية الكُلفة، وتُكَلِّف الكَثيرَ من المال. أمَا كان أَوْلَى - والكلام بمنطق الشاعر - أن تُوَفَّر أموالُ هذا السَّلاح - الذي يجد الطريق إلى المحاربين عبر السُّوق السَّوداء والتي شياطينها قد كانوا حتماً من اليهود والمجوس وأمثال أبي لؤلؤة قاتل الخليفة عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه - لتحسين نوعية الغذاء لهؤلاء الأعادي الذين كانوا يُعَانون من «الجَدَع» كما ورد في البيت ٩١.

ومع أنَّ هذه النِّبال مَجازيةٌ ويُقْصَدُ بها المُهاجاةُ والمنافراتُ والمعارضة الشعرية إلاَّ أنَّ التفصيل في هيئاتها «الماديَّة» زائد في قدرة الشاعر على استخدام عنصر التجسيد والتهكم المادي والمعنوي على حَدٍّ سَواءٍ.

٩٦- خَرَجَتْ عَنْ بِغْضَةٍ بيِّنَةٍ   في شَبَابِ الدَّهْرِ والدَّهْرُ جَذَعْ

شَبابُ الدَّهر: أَوَّلُه.
والدَّهر جَذَع: أي في أَوَّل الدَّهْرِ.

والمعنى الإجمالي: أنَّ هذه النِّبال تَرْجَمَةٌ للإِحَنِ القديمة التي كانت مُسْتَتِرَةً في الصُّدور والتي لم يَزِدْها تطاولُ الدَّهر والعُمُر إلا مزيداً من الشَّباب والفُتُوَّة والتأجُّج وَالاستعار. أي أنَّ عامِلَ الزَّمن لم يُطفىء نار الحقد عند هذا الحاسد، بل العكس زادها شُبُوباً. وهذا موضع عجب أيضاً لدى الشاعر. فأين وعد الله ووعيده، وأين الأخوة الإسلامية، وأين القِيم العربية، وأين العقولُ الحصيفةُ؟!

٩٧- وَتَحَارَضْنَا وقالوا إنَّما يَنْصُرُ الأَقْوَامُ مَنْ كَانَ ضَرَعْ

تَحَارَضْنا من الحَرَض: الهلاك، والحَرَضُ: الرَّجُلُ الهالك.
الضَّرَع: الضَّعيف من الرِّجال.
والمعنى: إنَّما يحتاج إلى نَصْرِ الأَقْوَامِ مَنْ كان ضَعِيفاً.

وكاتب هذا التذوق يرى أنَّ الذي أطلق هذا القول «إنَّما يَنْصُر الأقوامُ من كان ضَرَعْ» هم من الأعادي الذين جاءوا يُذْكُون نار الفِتنة، وينتظرون انكفاء الشَّاعر، وهمود حُجَّته، وسكوت أنفاسه الشعرية، والتَشَفِّي به. وهذا يُسَوِّغ أمامَ الشاعر وأمام أنفسهم أنهم مع العنصر الأضعف إذا اعترف. وإذا لم يكن من الشاعر إلاَّ الثَّبات، وقذف الحُمَم، والمَدَدُ الشِّعري؛ فليس ينتظر إلاَّ أن يكون وقوفُهم مع الحاسد، وأن يكون تشجيعُهم له، وأن تكون أنفاسُهم حَرَّى معه ضِدَّ سُوَيدٍ.

٩٨- ثُمَّ وَلَّى وهو لا يَحْمِي ٱسْتَهُ   طَـائِـرُ الإتْـرَافِ عَنْـهُ قَـدْ وَقَـعْ

ويروى: «طائر الخالة عنه قد وقع» أراد بالخالة المُخْتالينَ ذوي الخُيَلاء واحدهم خَائِل مثل كافر وكَفَرة.

والمعنى: أي غَلَبْتُهُ وَخَصَمْتُهُ فولَّى لا يَنْثَني راجعاً. وقوله: طَائِرُ الإتراف: ما كان عليه من البَغْي فَسَقَط عنه.

والإتراف: التَّنَعُّم، أي ذَهَبَ عنه تَنعُّمُهُ.

وكاتب هذا التذوق يختار لفظة «الخالة» من الخُيَلاء؛ إذ هو قد ذكر في البيت ٩١ عن هذا «قِلَّة العُدَّة والجَدَع» فكيف ثَمَّةَ يكون ههنا مُتْرَفاً.

٩٩- سَاجِدَ المَنْخِرِ لا يَرْفَعُهُ   خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ المُسْتَمَعْ

يقول: أَلْزَمْتُهُ من الحُجَّة ما خَشَعَ له وأصاره بمنزلة الأَصَمِّ. أي أذللته فَخَرَّ لوجهه سَاجِداً من غير سُجُود.

وكاتب هذا التذوق يشير إلى ما كانه الشاعر من تصوير المنافرة الشعرية وكأنها مبارزة بالسيوف والنِّبال وعُدَد الحرب في ساحة المبارزة. وكل ذلك تجسيد على طريق الاستعارات.

١٠٠- فَرَّ مِنِّي هَارِباً شَيْطَانُهُ   حَيثُ لا يُعطي ولا شَيئاً مَنَعْ

والإشارة ههنا فيما يراه كاتبُ هذا التذوق إلى موهبة الشِّعر التي كانت ترفد الحاسد حيث نُزِحَتْ ولم يبق منها هذه الموهبة شيءٌ لا للعطاء ولا للمنع. وتجسيد الموهبة بالشيطان تهكُّم على لغة الجاهليين ومباهاتهم بشياطين الشِّعر، والتابعين من الجِنِّ - كما صَوَّر

ذلك أجملَ تصوير ابن شُهيد في رسالة «التوابع وَالزَّوابع». وكمثل ما وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿وأدعوا شهداءَكم مِن دُون اللهِ إنْ كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٢٣].

١٠١- فَرَّ مِنِّي حِينَ لا يَنْفَعُهُ   مُوقَرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ المُتَّضَعْ

المعنى الإجمالي: فَرَّ هذا الحاسِدُ حين انقطع نَفَسُهُ الشِّعري، يَحْمِلُ على ظَهْرِهِ خِزياً، وَيَتَّضِعُ أتضاعَ الذُلِّ والصَّغار.

١٠٢- وَرَأى مِنِّي مَقَامَاً صَادِقاً   ثَابِتَ المَوْطِنِ كَتَّامَ الوَجَعْ

ويروى: «مقاماً ثابتاً   صَادِقَ الموطن كَتَّامَ الوَجَع».

أي: لا يُظْهِرُ وَجَعَهُ.

وكاتب هذا التذوق يختار «صادِقاً» فهي لفظة قُرآنية؛ وكثيرة هي المفاتيح الشعرية في قصيدة سويد التي تُبَيِّنُ تأثُّره بالآيات القرآنية الكريمة كَمِثْلِ ما عَلَّمنا عليه في ثنايا هذا البحث وتضاعيفه. وبذلك يكون الحاسِدُ مع الشُّهداء من دون الله؛ ويكونُ الشاعرُ من الصَّادقين في هذا المقام. وهو ما أَحْسَنَ الشَّاعِرُ في دَحْوه وتصويره، وتفصيله.

١٠٣- وَلِسَاناً صَيْرَفِيّاً صَارِمَاً   كَحُسَامِ السَّيفِ ما مَسَّ قَطَعْ

الصَّيرَفيُّ: اللسان يتصرَّفُ كما شاءَ صَاحِبُهُ.

الحُسَام: القاطع، وأصل الحسم: القَطْع.

أراد بالسيف ههُنا قُوَّة حُجَّتِهِ في التفاخر والهجاء.

وَيُنْظَرُ في هذا البيت إلى بيت حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لساني صَارِمٌ لا عَيبَ فيه وبحري لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ[1]

وواضح أَنَّ الصِّفات التي كان يستجمعها في شخصه الشاعر الجاهلي - الإسلامي (المخضرم) هي التشبُّه بالأسد كما قال حسان أيضاً:

ونشربُها فتتركنا ملوكاً وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنَا اللِّقاءُ[2]

ثم المباهاة باللسان الصَّارم القادر على الصَّدِّ والرَدِّ في مواضع المفاخرات والمنافرات، وإثبات «الفحولة» الشعرية؛ وإفحام الخصوم؛ ثم المباهاة بأنَّه البحر المُزْبدُ المُرغي (ذو التيَّار والحَدَب) - بالإذن من أبي تمام الطائي في قوله يَصِفُ الخليفة المعتصم[3]:

١٠٤- وَأَتَانِي صَاحِبٌ ذو غَيِّثٍ زَفَيَانٌ عِنْدَ إِنْفَادِ القُرَعْ

ويروى: «ذو عَيِّثٌ» وهو الفساد من: عَثَا وعَاثَ.

ويروى: «عند إنفاد الفَزَع»[4].

قوله: «ذو غَيِّث»: أي ذو إجابة.

---

(١) في التذوق الجمالي لهمزية حسان بن ثابت حول فتح مكة ص١٦.

(٢) ذاته ص١٤.

(٣) محمد علي أبو حمدة: **في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تَمَّام الطَّائي في فتح عَمُّوريَّة** (دار الجيل - بيروت / مكتبة المحتسب عمان ١٩٨٤م) ص٢١.

والبيت:

غدا يُصَرِّف بالأموال جِرْيَتها فعَزَّهُ البَحْرُ ذو التيَّارِ والحَدَبِ

(٤) المفضليات ص٤٠٨ (الحاشية).

والزَفَيَان: الخفيف السَّريع. يقال: زَفَاهُ يَزْفِيه: إذا استَخَفَّه.

والقُرَع: المَزَاد[١]. أي: لمَّا أَنْفَدُوا ماءَهم جَاءَهم بِمَاءٍ غيره. وواحد القُرَع: قُرْعَة.

وقيل: القُرَع: الجُرُبُ جمع جِرَاب، وهو حقيبة الزَّاد، أو وعاء الزَّاد.

ويقال: ذو غَيِّث: ذو مَادَّةٍ لا تنقطع. وأصله أن يقال: بئرٌ ذاتُ غَيِّث إذا كانت لها مَادَّةٌ كلما ذهب مَاءٌ جاء ماءٌ آخر.

ويقال: ذو غَيِّثٍ: يعني شَيْطَانَهُ: إذا نَفِدَ ما عنده من الشِّعر جاء بشيءٍ آخَرَ.

وما يراه كاتب هذا التذوق، وعلى ضَوء الأبيات الكثيرة من القصيدة التي تعود إلى الله تعالى وتستمِد منه الرؤية إلى الحياة والآخرة، والرِّزق، والأخلاق، والضَّلع (انظر الأبيات ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٠، ٧١)، ومع استذكار أنَّه اختار لخصمه أنَّ له شَيطاناً في قوله البيت ١٠٠ (فَرَّ مني هَارِباً شيطانُه...)، ومع ملاحظة أنَّ سويداً يقفو خُطَى أبيات حسان بن ثابت في التشبه بالأسد، والمباهاة باللسان القاطع، والبحر المُزبد؛ فإنَّ الصَّاحب الذي يُعنيه ههنا إنما هو «الرُّوح القُدُس» جرياً على ما كانه حَسَّان بن ثابت بدعاء رسول الله ﷺ[٢]. يعزِّز ذلك غَيرُة هذا «الصَّاحب» على مكارم الأخلاق،

---

(١) المزاد: جمع مَزَادة وهي الرَّاوية أو وعاء الماء الذي يُسْتَقَى به.
مختار الصحاح: **زيد، روى**.

(٢) شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر =

ومحارَبَتُهُ للمُقْذِعينَ للنَّاس - كما في البيت ١٠٥.

وعليه تكون الرواية الصحيحة للبيت وَفقَاً لذلك «ذو غَيِّثٍ» بالغين المعجمة؛ وتُسْتَبعَدُ الاحتمالاتُ الأخرى. ويكون قول الشاعر «ذو غَيِّثٍ» ذو إجابة. ويكون المعنى الإجمالي: وأيَّدَني صَاحِبٌ ذُو إجابة سريعٌ عند إنفاد المَزادِ (روايا الماء). وذلك إشارة إلى مَدِّ قريحة الشِّعر لديه بمزيد من الدَّفق الشِّعري إذا قاربت القريحة على ٱستنفاد المعاني الشِّعرية.

١٠٥- قَالَ لَبَّيكَ وما ٱسْتَصْرَخْتُهُ حَـاقِـراً للنَّـاسِ قَـوَّالَ القَـذَعْ

يقول: يحقر قَوَّال القَذَع للنَّاس. والقَذَع: الكلام السيِّء القبيح. يقال: أقذع إقذاعاً.

وما كان لشيطان أن يغار على موضوع الناس والحفاظ على أعراضهم وكراماتهم وصَالح المؤمنين. ثم قوله «لَبَّيك» أقرب إلى أجواء «الرحمة» والاستجابة الإسلامية كالمُهِلِّ بالحَجِّ أو العُمْرة.

١٠٦- ذُو عُبَـابٍ زَبِـدٌ آذِيُّـهُ خَمِـطُ التَيَّـارِ يَـرْمِـيْ بـالقَلَـعْ

ويروى: «بالقِلَع».

العُبَاب: تكَاثُفُ الموج واضطرابُه. يقال: العُبَاب: المَوْج بِعَيْنِه.

والتيَّار: الموج أيضاً.

= (ت٨٥٢هـ): **الإصابة في تمييز الصَّحابة** (مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣هـ) ٢:٢ «اللهم أيِّده بروح القُدُس».

وانظر: في التذوق الجمالي لهمزيَّة حَسَّان بن ثابت ص٣٦.

والقَلَع: قِطع الجِبال ههُنا.
والآذِيُّ والتيَّار واحِدٌ وهما المَوْج.
خَمِطُ التيَّار: شديدُه وَقويُّه.
والقِلَع: الشِّرَاع.

والمعنى الإجمالي: كأنَّ هذا الصَّاحِبَ البَحرُ المتلاطمُ الأَمواج يَهُدُّ الجِبَال. وهو وصفٌ أقرب إلى سيِّدنا جَبريل عليه السَّلام.

١٠٧- زَغْـرَبِـيٌّ مُسْتَعِـزٌّ بَحْـرُهُ   لَيْـسَ للمَـاهِـرِ فيـه مُطَّلَـعْ

الزَّغْرَبِيُّ: الكثير الماء.
المُسَتَعِز: الذي لا يُقْدَرُ عليه من كثرته. وأصل العِزَّة: الغَلَبة.
الماهر: الحاذق بالسِّباحة.
المُطَّلَعُ: المَخْرَج. يقول: ليس للسَّابح فيه مَخْرَجٌ ولا مَنْفِذ.
وقيل: مُطَّلَع: إشراف ومُرْتَقى.

وهي صورة أقرب إلى استجلاء قُوَّة سَيِّدنا جبريل عليه السَّلام وما يُنَاطُ به من قُوَّة تدميرية لا مكان للإنسان معه من مَخْرَج.

١٠٨- هَلْ سُوَيْدٌ غَيْرُ لَيثٍ خَادِرٍ   ثَئِـدَتْ أَرْضٌ عليـه فَـٱنْتَجَـعْ

ويروى: «فاطَّلع».
الخادِر: الفاعل من الخِدْر. يقال: أَسَدٌ خَادِرٌ إذا ٱستتر.
ثَئِدَت: نَدِيت. والثَّأَد: النَّدى.
الليث: الأسد.
والخادر: المُخدر: الذي ٱتَّخذ الأَجَمَةَ خِدْراً.

وقوله: «فانتجع» مَثَل: أي لمَّا فَسَدَ عليه مَوضعٌ انتقل إلى غيره.
اطَّلع: خَرَج إلى البَرِّ.

وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ سُوَيداً ليث خادر نديت أرضٌ عليه فانتقل إلى مكان مُشْمِسٍ آخر؛ ولكن القدرة القتالية الرَّادعة ما زالت تمارِسُ حَقَّها بالرَدِّ إذا بَرَزت الحاجة لذلك.

المصادر المراجع

أ- المصادر:

١- القرآن الكريم.
٢- الأصفهاني، أبو الفَرَج: كتاب الأغاني جـ١٣ (دار الثقافة - بيروت ١٩٥٨م).
٣- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز. ت محمد رشيد رضا. ط٢ (مكتبة القاهرة. القاهرة ١٩٦١م).
٤- الجمحي، محمد بن سَلَّام: طبقات فحول الشعراء. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر (مطبعة المدني. القاهرة ١٩٧٤م).
٥- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصَّحابة (مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣هـ).
٦- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي: شرح القصائد العشر. ط١ (دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٥م).
٧- ابن خلكان، أبو العبَّاس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان. ت. إحسان عَبَّاس (دار صادر - بيروت ١٩٦٩م).
٨- الرَّازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصِّحاح. ط١ (دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٩م).
٩- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين.

ت. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢ (دار المعارف بمصر ١٩٨٤م).

١٠- ابن الشجري، أبو السَّعادات: الحماسة الشجرية. ت. عبد المعين الملوحي (منشورات وزارة الثقافة. دمشق ١٩٧٠م).

١١- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء (دار الثقافة - بيروت. بدون تاريخ).

١٢- القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحَجَّاج: صحيح مسلم. ت. محمد فؤاد عبد الباقي ط٢ (دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٩٧٢م).

١٣- المُفَضَّل الضَبِّي: ديوان المفضليات. بشرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بَشَّار الأنباري. ت. كارلوس لايل (مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٢٠م).

١٤- المفضل الضَبيِّ: المفضليات. ت. أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. ط١٠ (دار المعارف بمصر ١٩٩٢م).

ب- المراجع:

١- محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية (دار الجيل - بيروت / مكتبة المحتسب - عمان ١٩٨٤م).

٢- محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ. ط٢ (مكتبة الأقصى - عمان ١٩٨٣م).

٣- محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى ط٢ (مكتبة الأقصى - عمان ١٩٨٢م).
٤- محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لمعلقة امرىء القيس ط١ (مكتبة الأقصى - عمان ١٩٨٨م).
٥- محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لهمزية حَسَّان بن ثابت حول فتح مكة (مكتبة الرسالة - عمان ١٩٨٨م).
٦- ناصيف اليازجي: العَرفُ الطيب في شرح ديوان أبي الطيب (دار صادر - دار بيروت ١٩٦٤م).

كتب مطبوعة للمؤلف

١- «أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة بين الطَّائيين» (ط٢).

٢- «النقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري» (ط٢).

٣- «الأمثال العامية الفلسطينية» (ط٢).

٤- «الفكر الإسلامي وطرائق النقد الأدبي» (ط٢).

٥- «في ظلال الفكر الإسلامي» (ط٢).

٦- «نحو رؤية إسلامية».

٧- «الطريق إلى الجامعة».

٨- «في النقد الأدبي التطبيقي».

٩- «ضفائر من تراثنا الشَّعبي».

١٠- «من أساليب البيان في القرآن الكريم» (ط٢).

١١- «فن الكتابة والتعبير» (ط٣).

١٢- «في التذوق الجمالي للآية القرآنية الكريمة: ﴿إنما مَثَلُ الحياة الدنيا كماء..﴾» (ط٢).

١٣- «في التذوق الجمالي لِـ«بانت سعاد» لكعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ» (ط٢).

١٤- «في التذوق الجمالي للآيات العشر الأولى من سورة الإسراء».

١٥- «في التذوق الجمالي لخطبة النبي ﷺ في حِجَّة الوداع».

١٦- «في التذوق الجمالي لخطبة زياد ابن أبيه (الخطبة البتراء)».

١٧- «في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في «فتح عمورية»».

١٨- «في التذوق الجمالي لقصيدة أبي الطيب المتنبي «على قدر أهل العزم تأتي العزائم»».

١٩- «في التذوق الجمالي لما اشتمل على ذكر العربية واللسان العربي المبين من آي القرآن الكريم».

٢٠- «في التذوق الجمالي لمناظرة أبي سعيد السِّيرافي وأبي بشر مَتَّى بن يونس».

٢١- «في التذوق الجمالي لسورة يوسف عليه السَّلام».

٢٢- «في التذوق الجمالي للاميَّة العرب للشَّنفرى» (ط٢).

٢٣- «في التذوق الجمالي لمعلقة امرىء القيس».

٢٤- «في التذوق الجمالي لهمزية حَسَّان بن ثابت حول فتح مَكَّةَ.

٢٥- «في التذوق الجمالي لقصيدة أبي فراس الحمداني في الأسر».

٢٦- «في التذوق الجمالي لقصيدتي أبي الطيب المتنبي: «ما لنا كُلُّنا جَوٍ يا رَسُولُ» و«ملومكما يَجِلُّ عن المَلَامِ»».

٢٧- «في التذوق الجمالي لِسينيَّة البحتري».

٢٨- «في التذوق الجمالي لسينية شوقي».

٢٩- «في التذوق الجمالي للآيات الثلاثين خواتيمَ سُورة البقرة».

٣٠- «المسجد الأقصى المبارك وما يتهدَّده من حَفْرِيَّات اليهود».

٣١- «مباحث في الهجمة اليهودية على الطابع الإسلامي لمدينة بيت المقدس».

٣٢- «الأخطبوط الصَّهيوني رأي العين».

٣٣- «الدَّاني في مهارات اللغة العربية».
٣٤- «الأردن والمعالم الثقافية».
٣٥- «في العبور الحضاري لكتاب «شرح قطر النَّدى وَبَلِّ الصَّدى» لابن هشام الأنصاري».
٣٦- «في العبور الحضاري للمكتبة الإسلامية، الكتاب الأول: القرآن الكريم وبداية المكتبة العربية».
٣٧- «في العبور الحضاري للمكتبة العربية الإسلامية، الكتاب الثاني: كعب الأحبار».
٣٨- «موقع التوراة العزرية من رؤية المسيح عليه السَّلام ومن القرآن الكريم» (بالعربية وبالإنجليزية).
٣٩- «في العبور الحضاري للاميَّة العرب للشنَّفرى».
٤٠- «في التذوق الجمالي لنقاط التعتيم والإضاءة في قصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية».
٤١- «في العبور الحضاري لكتاب أسرار العربية».
٤٢- في التذوق الجمالي لعيينة أبي ذؤيب الهُذَلي.
٤٣- Al - Muwazana (Balance) as a Critical Approach in Arabic Literature.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





الاردن - عمان - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني
ص.ب ٩٢١٦٩١ - هاتف ٦٥٢٤٣٧

المطابع التعاونية - عمان